د. نبيل فاروق

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الأوراق المكشوفة

143

Looloo



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة تلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ـ تسلّل..

هطلت الأمطار فى غزارة غير مسبوقة، فى تلك الليلة، على العاصمة الإيطالية (روما)، حتى إن الشوارع قد خلت أو كادت من المارة، فى نفس الوقت الذى لزم فيه معظم الإيطاليين منازلهم؛ لمتابعة المباراة النهائية فى الدورى الإيطالى، والتى تقام فى ملعب مغلق خاص، وسط العاصمة..

وفى الوقت الذى توجّهت فيه أنظار الكل إلى شاشات (التليفزيون)، التى تبث المباراة، تسلّل شخص متشح بالسواد إلى سطح مبنى تجارى ضخم، تعلوه لافتة تحمل اسمًا شهيرًا، فى عالم صناعة السيارات، وكمن فى ركن منه، يراقب فى دقة نافذة كبيرة مضاءة، فى واجهة المبنى المقابل، عبر الشارع الواسع، قبل أن يتحرك فى خفة نحو سور السطح، ويفتح حقيبته؛ ليخرج منها شيئًا

أشبه بطبق استقبال فضائى صغير ، ثبته فى إحكام على حافة السور ، فى اتجاه تلك النافذة ، ثم جذب منه سلكًا رفيعًا ، أوصله بمسماع الأذن ، المثبت على رأسه ، وهو يرهف سمعه فى اهتمام وانتباه كبيرين ..

كان جهاز الاستماع والتنصُّت الدقيق هذا ينقل إليه حديثًا ، يدور بين رجلين ، خلف تلك النافذة ...

حديثًا بدا له بالغ الأهمية ..

وبالغ الخطورة ..

إلى أقصى حد ..

ولدقيقة واحدة أو أقل ، تابع الرجل ذلك الحديث الخاص ، بين هذين الرجلين ، قبل أن يغمغم :

ـ يالأوغاد ! من الواضح أن تحريات الرفاق كانت دقيقة تمامًا .

قالها ، ثم أخرج من حقيبته سلاحًا خاصًا ، هو مزيج من البندقية والقوس ، ثبت فيه سهمًا قصيرًا قويًا ،

صوّبه إلى سطح المبنى المقابل الذى يقل ارتفاعه عن المبنى الذى يقف فوقه بطابق واحد ، و ...

وأطلقه ..

وبصوت خافت حاد ، شقّ السهم القصير طريقه ، عبر الشارع الواسع ، ساحبًا خلفه حبلاً رفيعًا ، من مادة شديدة الصلابة والمتانة ، لينغرس فى حائط سميك ، فى سطح المبنى المقابل ..

وبجذبتين قويتين ، تأكّد ذلك المتشح بالسواد ، من قوة ومتانة ذلك الحبل ، ومن شدة تماسكه بالحائط المقابل ، قبل أن يجذب حبلاً مماثلاً من حزامه ، ينتهى بخطاف من طراز خاص ، ويثبته بالحبل المتصل بالمبنى المواجه ، متمتمًا :

ـ حانت لحظة الهجوم .

ومع آخر حروف كلماته ، وثب عبر سور السطح ، وترك جسده ينزلق عبر الشارع ، مع مسار ذلك الحبل المتين ، حتى بلغ سطح المبنى المقابل ، ليهبط عليه فى خفة مدهشة ، دون أن يبدر عنه أدنى صوت ..

وبسرعة مدهشة ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ، حلّ ذلك الحبل المتصل بحزامه ، ثم أخرج من الحقيبة الصغيرة ، المعلّقة بكتفه ، حبلاً آخر ثبّت طرفه فى إحكام ، حول مدفأة حجرية بارزة ، قبل أن يتعلّق به ، ويتجاوز سور السطح الثانى ، لينزلق على واجهة المبنى ، فى خفة ورشاقة مدهشتين ..

وعند الطابق الذى يحوى تلك النافذة المضيئة ، توقّف عن الانزلاق ، ودفع جسده فى مرونة ، إلى شرفة تجاور النافذة ، ووثب داخلها ، بنفس الخفة السابقة ، ليكمن فى مكانه بضع دقائق ، حتى تأكّد تمامًا من أن أحدًا لم ينتبه إليه ، ثم لم يلبث أن أخرج أداة صغيرة دقيقة من جيبه ، عالج بها رتاج الشرفة فى براعة ، حتى استجاب له ، ففتحها فى حذر ، ودلف إلى حجرة المكتب المتصلة بها ، ثم أغلقها خلفه فى خفوت ، وهو يلتصق بالجدار ، ويدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يضع على عينيه منظارًا خاصًا للرؤية الليلية ، ويتطلّع عبره إلى الحجرة ..

كانت حجرة مكتب أنيقة ، بدا واضحًا فى ركنها ذلك الشمعدان الثمانى ، المميز للديانة اليهودية ، فى حين تزيّنت جدرانها بعدد من الشهادات الدراسية ، وشهادات التكريم ، وبعض الأعلام الجامعية المثلّثة ، التى يتوسّطها علم (إسرائيل) بلونيه الأبيض والأزرق ، وتلك النجمة السداسية التى تتوسّطه ..

وهناك ، خلف المكتب مباشرة ، كانت هناك لوحة زيتية ، تمثّل هجرة اليهود من (مصر) ، فى زمن النبى (موسى) ..

ودون أدنى تردُّد ، وبناء على معلومات مسبقة ومؤكدة ، اتجه الرجل نحو اللّوحة ، ومرّر يده على إطارها ، قبل أن يضغط لحد أركانه ، فتنزاح اللوحة كلها فى بطء ، لتكشف خلفها خزانة فولاذية حديثة ، ذات أرقام سرية إليكترونية ، مدفونة فى الجدار بمهارة ..

وفى سخرية ، غمغم الرجل :

- خزانة خلف اللوحة الرئيسية .. يا له من افتقار للتجديد والابتكار !

فحص الخزانة في دقة وسرعة ، ثم أخرج من حقيبته الصغيرة جهازًا صغيرًا أشبه بالهاتف المحمول ، وأوصله بالرتاج الإليكتروني للخزانة ، ثم ضغط أزراره ، وثبته بباب الخزانة ، وتركه يعمل ..

وبسرعة مدهشة ، راح ذلك الجهاز الصغير يتعامل ، مع رتاج الخزانة الإليكتروني ، متفاديًا أي استحثاث لنظم الأمن المتصلة به ؛ لفك شفرته ، وتحديد الكود السري الخاص به ..

واستغرقت هذه العملية الدقيقة ثلاث دقائق كاملة ، قبل أن يضيء مصباح أخضر صغير في الجهاز ، معلنًا استجابة الرتاج الإليكتروني ، وتجاوز كل أنظمة الأمن السرية ..

وبسرعة ، فتح الرجل الخزانة ، وتجاهل رزم الأوراق المالية داخلها ، وهو يلتقط مظروفًا كبيرًا ، حمل في ركنه شريطًا أحمر ، كُتب وسطه باللغة العربية عبارة صغيرة واضحة ..

«سري للغاية» ..

ودسَّ الرجل المظروف في حقيبته الصغيرة ، وهو يتمتم :

ـ عظيم .. هذا الدليل سيثبت أن لهؤلاء الأوغاد يدًا ، في واقعة الهجوم على برجي التجارة العالميين(*) .

لم تكد تمتمته تنتهي ، حتى فوجئ بباب حجرة المكتب يُفتح فجأة ، مع شهقة رجل ، يهتف في دهشة مذعورة :

ـ ما هذا ؟!

شعر المتسلِّل بغضب ساخط من نفسه ؛ لأنه لم ينتبه إلى هذا القادم ، قبل أن يبلغ حجرة المكتب ، وعزا هذا إلى اهتمامه وانشغاله بتلك الأوراق ، التي جاء من أجلها ، و ...

(*) في حوالي التاسعة (بتوقيت أمريكا) ، من صباح الحادي عشر من سبتمبر ، عام ألفين وواحد ، انقضت طائرة ركاب أمريكية ، على أحد برجي مركز التجارة العالمي ، لتنفجر فيه بعنف ، ثم سرعان ما انقضت طائرة ثانية ، على البرج الثاني ، لتشتعل النيران في البرجين ، اللذين انهارا بعد بضع ساعات ، لتبدأ الولايات المتحدة الأمريكية أكبر حملة عسكرية انتقامية ، عرفها العصر الحديث ، دون أي سند قانوني .

- « النجدة ! الغوث !! » ..

انطلقت الصرخة ، من حلق ذلك القادم ، بكل ذعر الدنيا ، وهو يتراجع بحركة حادة ، وينتزع من جيبه مسدسًا كبيرًا ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها وقع أقدام تقترب فى إيقاع سريع ، يشف عن سرعة استجابة طاقم الأمن الخاص فى المكان ..

وبسرعة وخفة تليقان بالمحترفين ، تحرك المتسلل ..

لقد التقط نموذجًا صلبًا ، يمثل جوادًا ثائرًا ، وألقاه بكل قوته نحو القادم ، الذى همّ بإطلاق النار عليه بالفعل ..

وفى نفس اللحظة ، التى أصاب فيها النموذج مسدس القادم ، وأطاح به بعيدًا ، بعد أن انطلقت منه رصاصة طائشة ، كان المتسلل يثب إلى الشرفة ، ومنها إلى الحبل ، الذى يتدلى من السطح ..

وانطلقت صرخة غاضبة من الداخل :

- الحقوا به .. أوقفوه بأى ثمن .. أى ثمن ..

كان المتسلل يتسلق الحبل بسرعة مدهشة ، عندما اندفع طاقم الأمن إلى الشرفة ، وهتف أحدهم ، وهو يشير إلى أعلى :

- ها هوذا .

قرن هتافه بثلاث رصاصات ، أطلقها من مسدسه ، ارتطمت إحداها بواجهة المبنى ، وحطمت الثانية شريحة من حافة حاجز السطح ، فى حين وجدت الثالثة طريقها إلى فخذ المتسلل ، لتغوص فيه كعمود من النار ..

وعلى الرغم من الآلام الشديدة المباغتة ، لم يتوقف المتسلل لحظة واحدة ، وهو يبلغ حافة السطح ، ويستنفر كل عضلة فى جسده ، مع تعلقه بها ؛ ليثب إلى السطح ، متفاديًا دفعة أخرى من الرصاصات ..

وداخل حجرة المكتب ، هتف أحد الرجال فى شحوب :

- ياللهول ! لقد استولى على الأوراق .. أوراق عملية مركز التجارة العالمى .

انعقد حاجبا الثانى بمنتهى الشدة ، وهو يتمتم فى غضب هادر :

- ماذا ؟!

اندفع الأول نحو زر أحمر على سطح مكتبه ، وضغطه فى قوة ، هاتفًا :

- لابد من إيقافه بأى ثمن .

وثب الثانى نحوه ، ولطمه بكل قوته ، وهو يهتف :

- إياك أن تفعلها .

ولكن الأول كانَ قد ضغط الزر الأحمر بالفعل ، فانطلقت فى المكان صفارة قوية ، جعلت الثانى يستطرد فى ثورة :

- أيها الأحمق ! لقد استدعيت رجال الشرطة الإيطاليين ، بفعلتك السخيفة هذه .

واحتقن وجهه ، من شدة الغضب ، وهو يواصل بعينين محمرتين وحشيتين :

- هذا شأن داخلى ، لاينبغى أن يتدخل فيه الآخرون .. أبدًا .

قالها ، ولطم الأول لطمة ثانية ، ألصقته بالجدار ، وهو يهتف فى هلع :

- لم أدرك هذا يا أدون (جراهام) .. أقسم لك .. لم أنتبه إلى هذا قط .

رمقه (جراهام) بنظرة مقت وغضب ، وهو يهتف برجال طاقم الأمن الداخلى ، الذين تراجعوا من الشرفة ، واندفعوا محاولين اللحاق بالمتسلل على السطح :

- حاصروا المبنى كله ، وأضيئوا كل أنوار السطح ، حتى لايمكنه الانتقال إلى أى سطح مجاور ، دون أن نرصده ، وأغلقوا كل مداخل ومخارج المبنى فورًا .. سأطلق النار عليكم جميعًا ، لو نجح ذلك الشخص فى الفرار من هنا ، وهو يحمل تلك الأوراق .

انطلق الرجال لتنفيذ أوامره ، وقد امتلأت نفوسهم

بالحزم والتوتر والخوف معًا ، فى حين التقط هو هاتفه المحمول ، وضغط أزراره فى سرعة ، مغمغمًا بكل سخط وغضب الدنيا :

- لابد أن نمنع حدوث هذا بأى ثمن ..

وألقى نظرة مقت أخرى ، على الرجل الأوّل ، الذى مازال ملتصقًا بالجدار ، وقد جفّت الدماء فى عروقه ، من فرط الرعب ، وكرّر فى صرامة وحشية :

- بأى ثمن ..

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته الأخيرة ، كان ذلك المتسلّل على السطح ، يعيد دراسة الموقف كله ، وقد أدرك - كمحترف - أنهم قد أغلقوا أمامه كل سبل الفرار ..

وبسرعة تليق بالمحترفين ، اتخذ قراره ، والتقط من جيبه آلة تصوير رقمية صغيرة ، ثم أخرج الملف من حقيبته ، وفرده أمامه فى حزم ..

أما طاقم الأمن ، فقد انتشر فى المبنى كله ، وانطلق نصفه إلى السطح ، لحصار ذلك المتسلّل ، وهتف أحد أفراده ، مع وصولهم إلى هناك :

- باب السطح مغلق من الخارج .. لابد أنه هو الذى فعلها .

صاح به قائده فى حزم :

- انسفوا باب السطح .

لم تكن صيحته قد اكتملت ، عندما انطلقت رصاصات مدافعهم الآلية القصيرة ، الإسرائيلية الصنع ، تنسف رتاج باب السطح نسفًا ، قبل أن يندفعوا جميعهم إليه ، فى تشكيل ثلاثى متقن ، يشفّ عن براعتهم ، ودقة وحسن تدريبهم ..

وبكل الانفعال ، هتف أحد أفراد الطاقم ، وهو يشير أمامه :

- ها هو ذا هناك .

كان المتسلّل ، فى تلك اللحظة ، يقف فوق حاجز

السطح الرفيع ، وهو يثبت حقيبته خلف ظهره فى إحكام ، فصاح بهم قائدهم فى حزم صارم :

ـ أطلقوا النار .

ومع أول حروف صيحته ، وثب المتسلل ..

وثب من سطح المبنى ، فى حزم وثقة ، لتنطلق الرصاصات كلها فوق رأسه ، وتتجاوزه ببضعة سنتيمترات ..

وعلى الرغم من دهشتهم ممافعله الرجل ، فقد اندفع فريق الأمن نحو حافة السطح ، ليواصلوا إطلاق النار على خصمهم ..

أو ليروا ما الذى فعله على الأقل ..

وأمام عيونهم المندهشة ، رأوه يجذب حبلاً رفيعًا من حزام حقيبته ، المحيط بوسطه ، لتنطلق من الحقيبة مظلة هبوط ، انفردت على مساحة واسعة ، لتخفى جسده عنهم ، وتتلقى رصاصاتهم الغزيرة ، قبل أن يهتف بهم قائدهم :

ـ كفى .. توقفوا .

قالها ؛ لأن سيارات الشرطة قد ظهرت فى المنطقة بالفعل ، وارتفع دوى أبواقها القوية ، وأضواء مصابيحها الحمراء والزرقاء تنعكس على كل ما حولها ..

ومن ناحيته ، أدرك المتسلل أنه سيسقط حتمًا فى قبضة رجال الشرطة الإيطالية ، الذين انتشروا فى المنطقة كلها ، وارتفعت فوهات أسلحتهم نحوه ، وهو يهبط بمظلته إليهم ، وراحت جراح الرصاصات التى أصابت جسده ، تئن بآلام رهيبة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، استسلم للهبوط تمامًا ، وكأنما لم يعد يعنيه مصيره ، و ...

وفجأة ظهرت تلك الهليكوبتر ..

هليكوبتر صغيرة ، من طراز تجارى ، برزت فجأة ، من خلف المبنى المقابل ، وانقضت على المتسلل ، وهو يهبط بمظلته ، وبرز منها قناص ، صوّب بندقيته إليه ، هاتفًا :

ـ لايمكنك أن تفلت بأوراقنا يا هذا .

قالهـا ، وأطلـق ثـلاث رصاصـات مـن بندقيتـه ، المزودة بمنظار مقرب قوى ، فاخترقت كلها صدر ومعدة المتسلل ، الذى انتفض جسده فى عنف ، قبل أن يتهاوى رأسه على صدره الذى تفجرت الدماء من إصابات شتى فيه ، وهو يواصل هبوطه ، نحو قوات الشرطة الإيطالية ، التى تحيط بالمنطقة كلها ..

ولكن قناص الهليكوبتر أسرع يستبدل ببندقيته بندقية أخرى شبيهة بتلك ، التى استخدمها المتسلل ، للانتقال بين سطحى المبنيين ، وأطلق منها سهمًا مماثلاً ، ينتهى بحبل طويل قوى ، ليخترق جسد المتسلل ، قبل أن ترتفع الهليكوبتر عاليًا ، جاذبة جسده المثخن بالجراح والإصابات خلفها ، أمام العيون الحائرة المذعورة الذاهلة ، وتختفى معه وسط الأمطار الغزيرة ، والظلام الدامس .. والغموض ..

كل الغموض ..

* * *

٢ ـ الوحوش ..

ارتسمت ابتسامة واسعة كبيرة ، على شفتى دونا (كارولينا) ، وهى تستقبل (أدهم صبرى) ، العائد بطائرة خاصة ، من قلب الصحراء المكسيكية(*) ، قائلة بسعادة واضحة :

ـ إذن فقد فعلتها مرة أخرى يا (أدهم) .

صافحها (أدهم) ، وهو يبتسم ، قائلاً فى هدوء :

ـ الأمر لم يكن هينًا هذه المرة يا دونا .

ضحكت ، قائلة ، وهى تجلس خلف مكتبها الأنيق :

ـ ولكنك فعلتها .

جلس على المقعد المقابل لها ، وهو يقول :

ـ أنت أيضًا فعلتها يا دونا .. مساعدك (كارلو)

(*) راجع قصة (رجل .. وجيش) .. المغامرة رقم (١٤٢) ..

لخبرني ، فى طريقنا إلى هنا ، أنك قد نجحت فى استعادة (جيهان) ، والسيطرة على الأمور المرتبكة فى منظمتك .

صمتت لحظة ، وهى تتطلع إليه مباشرة ، قبل أن تتراجع فى مقعدها ، قائلة فى بطء :

- ربما نجحت فى استعادة رفيقتك ، ولكن عملية إعادة السيطرة على المنظمة ، ليست بالبساطة التى تتصورها .

سألها فى اهتمام :

- وكيف حال (جيهان) الآن ؟!

انعقد حاجباها فى ضيق ، وهى تقول :

- كنت أتصور أنك ستسألنى أولاً عن المشكلات التى أواجهها ، لاستعادة السيطرة على منظمتى .

أجابها فى هدوء :

- الحديث عن (جيهان) سيستغرق دقائق ، أما الحديث عن منظمتك ومشكلاتها ، فهو يحتاج إلى بعض الوقت ، حسبما توحى ملامحك .

لم يبد أن هذا التفسير قد راق لها أو أقنعها ، وهى تغمغم :

- ربما .

ثم التقطت نفسًا عميقًا ، ولوّحت بكفها ، قائلة ، فى نبرة واضحة العصبية :

- زميلتك بخير ، وربما تستعيد وعيها قريبًا ، فذلك الوغد (جوماتى) أمّن لها رعاية صحية مناسبة ، خلال فترة اختطافه لها ، ونحن قمنا بنقلها إلى مستشفانا الخاص هنا فى (نيويورك) ، فور استعادتها ، وهى تحت رعاية طبية مكثفة الآن ، وربما تحتاج إلى عملية جراحية ثانية ؛ لإعادة تثبيت تلك الشريحة الإليكترونية ، فى عمودها الفقرى ، بعد كل ما عانته ، فى الفترة الأخيرة .

انتهت من حديثها ، فأطلقت من صدرها زفرة طويلة ، قبل أن تضيف ، فى شىء من الحدة :

- والآن ، ألديك بعض الوقت ، للاهتمام بمشكلاتى الخاصة ، أم أنك تمنح اهتمامك كله لزميلاتك فحسب ؟!

صمت بضع لحظات ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ، قبل أن يميل نحوها ، متسائلا فى هدوء :

ـ ماذا لديك بالضبط يا دونا ؟!

أجابته فى سرعة مدهشة ، وكأنما كانت تستعد للجواب ، قبل أن يلقى سؤاله فعليًا :

ـ خطة محكمة .

عاد يتراجع فى مقعده ، وهو يسألها :

ـ خطة لماذا ؟!

التقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تقول :

ـ فى اللحظة التى نجلس فيها هنا ، يجتمع زعماء كل عائلات (المافيا) ، فى (أمريكا) كلها ، لاتخاذ قرار بتنحيتى عن منصبى .

غمغم :

ـ تنحيتك ؟!

ابتسمت فى عصبية ، قائلة :

ـ عندما نتحدث عن التنحية فى عالمنا ، فهذا يعنى أن يصدر قرار بتصفيتى من هذا العالم تمامًا .

سألها فى اهتمام قلق :

ـ ولماذا يفعلون هذا ؟! الأمور مستقرة منذ فترة طويلة ، و ...

قاطعته فى عصبية :

ـ لأننى اتخذت قرارًا بتصفية المتمردين منهم .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، ضاعفتها هى ، مع استطرادتها المحتدّة :

ـ وعملت على أن يبلغهم هذا القرار .

تحولت دهشته إلى انعقادة حاجبين صارمة ، وهو يسألها :

ـ وما مبرر هذا ؟!

هبّت من مقعدها بحركة حادة ، وهى تجيب :

ـ العالم يتطور بسرعة يا عزيزى (أدهم) ، ومع تطوّره ، تتطور الوسائل ، والقواعد أيضًا .

غمغم :

ـ هذا صحيح .

واصلت ، وكأنها لم تسمعه :

ـ وفى اجتماعهم هذا ، وبينما هم يتآمرون على حياتى ومنصبى ، تقوم شبكة إليكترونية دقيقة ، بتسجيل كل مايقومون به ، وكل مايتفوهون به ، بحيث يصبح لدى وثيقة تدين محاولتهم ، أمام كل رجل فى المنظمة .

وتوقفت فجأة ، لتضيف بعينين متألقتين :

ـ وثيقة تتيح لى تصفية أكثر العناصر المتمردة والمنشقة فيهم ، على نحو يوحى بالشرعية ، والـ ...

قاطعها فى صرامة :

ـ والحقارة .

صدمتها كلمته ، فانتفض جسدها فى عنف ، وهى تحدق فى وجهه بذهول مستنكر ، قبل أن تهتف فى حدة :

ـ لاتوجد حقارة فى عالمنا .. كل شىء مباح ، مادام يحقق الهدف المنشود منه .

نهض ، قائلا ، فى صرامة أكثر :

ـ مبدأ ماكيافيللى حقير(*) .

هتفت فى حنق :

ـ لو أنك تجلس على مقعدى ، لفعلت ما هو أسوأ من هذا .. إنها لعبة حياة أو موت يا رجل المخابرات المصرى .. إما أن أحيا أنا ، أو يحيا الآخرون .. أنا أو هم .. كيف ستتصرف ، لو كنت فى موضعى .

أجابها فى حزم ، وهو يعقد ساعديه القويين أمام صدره :

ـ افعلى مايحلو لك يادونا .. هذا شأنك .

أشارت إليه ، قائلة فى عصبية :

ـ بل شأننا :

(*) (نيقولا ماكيافيللى) (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧ م) ، سياسى ومؤرخ إيطالى ، يعتبر أحد أعلام عصر النهضة فى (أوروبا) ، عُرف فى تاريخ الفكر السياسى بمؤلفه الشهير (الأمير) ، الذى كتبه عام (١٥١٣ م) وأهداه إلى حاكم (فلورنسا) ، والذى وضع من خلاله مبدأه السياسى (الغاية تبرر الوسيلة) ، والذى يتعارض مع كل قيم ومبادئ الدنيا .

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يكرّر فى استنكار :

ـ شأننا ؟!

هتفت :

ـ نعم .. شأننا معًا .. لقد ساعدتك كثيرًا ، ومن حقى أن أجدك إلى جوارى ، عندما أحتاج إليك .

قال فى غضب صارم :

ـ وما حاجتك إلىّ ، فى خطة حقيرة كهذه ؟! أنت تعلمين أنه من المستحيل أن أشارك فى مثلها .

بدت شديدة العصبية ، وهى تقول :

ـ لن تفعل شيئًا .. وجودك وحده يكفى .. الجميع هنا يعرفون من أنت .. يعرفون قدراتك ، ومهاراتك ، ويدركون أن مجرّد وجودك إلى جوارى ، يعنى أننى الكفة الرابحة فى المعركة .

قال فى سخرية :

ـ إذن فكل ما تخططين له ، هو تواجدى لأغراض دعائية فقط .

قالت فى حدة :

ـ لو عجزت عن إقناعك بالأغراض القتالية .

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول فى حزم :

ـ معذرة يا دونا .. لن أكون جزءًا من لعبة كهذه أبدًا ، حتى من الناحية الدعائية .

احتقن وجهها ، وهى تهتف به :

ـ ولماذا كنت أنا دومًا جزءًا من ألعابك المخابراتية ، التى لا ناقة لى فيها ولا جمل ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ لم يجبرك أحد قط على هذا .

صاحت فى غضب :

ـ فعلت كل هذا ؛ لأننى أحب ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، قبل أن تفصح عن حقيقة مشاعرها تجاهه ، وعاد وجهها يحتقن لحظة ، قبل أن تندفع مكملة فى حدة :

ـ لأننى أحترم علاقتى بك .

قال فى صرامة حازمة :

ـ أنا أيضًا أحترم علاقتى بك يا دونا ، على الرغم من اختلافى معك ، فى كل نظراتك للأمور ، وتعاملاتك معها ، وأنا مستعد لفعل أى شىء من أجلك ، على ألا يندرج تحت بند الأفعال الإجرامية .

احتقن وجهها أكثر ، وهى تلوّح بسبّابتها فى وجهه ، هاتفة :

ـ اسمع يا (أدهم) .. إما أن ...

قاطعها رنين هاتفه المحمول الجديد فجأة ، فانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول فى عصبية :

ـ من يمكن أن يكون هذا ؟!

ألقى نظرة سريعة ، على شاشة الهاتف المحمول ، قبل أن يرفعه إلى أذنه ، مجيبًا :

ـ (القاهرة) .

ارتفع حاجباها الجميلان ، مع اتساع عينيها عن آخرهما ، وهى تقول :

ـ مستحيل ! إنه رقم جديد .. كيف ..

قاطعها فى صرامة ، وهو يشير إليها بالصمت :

ـ إنهم يعرفون .

عاد حاجباها ينخفضان ، ليلتقيا فوق أنفها الدقيق ، وهى تتساءل فى توتر ، عن كيفية توصُّل المخابرات المصرية إلى رقم ، لم تمنحه إياه إلا منذ دقائق قليلة فحسب ..

أما هو ، فقد بدا شديد الانتباه والاهتمام ، وهو يستمع إلى محدِّثه من (القاهرة) ، وأشار انعقاد حاجبيه إلى خطورة وحساسية ما يسمعه ، قبل أن يقول فى حزم ، وباللغة العربية ، التى تعرف كلمات قليلة منها :

ـ إصابتى لن تمنعنى أبدًا من أن أتولّى هذه المهمة .. سأستقلّ أول طائرة إلى هناك ..

بدت ملامحه أكثر صرامة وحزمًا ، وهو ينهى الاتصال ، قائلاً :

ـ انحسم الأمر يا دونا .. لم يعد هناك مجال للاختيار .. (مصر) تطلبنى ، وصوتها يجبّ دومًا أى صوت آخر .

تفجَّر الغضب من كل خلجة من خلجاتها ، وهى ترمقه بنظرة ساخطة ، قبل أن تلتقط علبة سجائر ذهبية ، وتشعل منها سيجارة فى عصبية ، قائلة :

ـ مشكلتى يا عزيزى (أدهم) أننى ، وعلى الرغم من أنوثتى ، زعيمة لواحدة من أكبر المنظمات ، التى عرفها الزمن الحديث ، وأقواها ، ومنصبى هذا يحتم علىَّ ، فى بعض الأحيان ، اتخاذ قرارات صارمة عنيفة ، لاتعرف الرحمة أو الشفقة ، ولامجال فيها للعواطف أو المشاعر .

اشتمَّ رائحة عجيبة فى كلماتها ، فتحفَّزت كل عضلة فى جسده ، وإن لم يبد هذا على مظهره الخارجى ، وصوته الهادئ الحازم ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

نفثت دخان سيجارتها فى حدة ، وهى تضغط زرًا أحمر على سطح مكتبها ، مجيبة فى عصبية :

ـ يعنى أنه ليس لديك الخيار كما تتصوَّر .

التقى حاجباه فى غضب ، عندما استجاب أربعة من رجال طاقم حراستها الخاص لضغطة الزر الأحمر ، وأسرعوا يحيطون به بمدافعهم الآلية ، وخلفهم (كارلو) مساعد (دونا) ، وهذه الأخيرة تتابع ، وقد بلغت عصبيتها ذروتها :

ـ يعنى أنه ليس أمامى أى خيار .. إما أن تنضمَّ إلىَّ ، فى معركتى الحاسمة هذه ، أو تنضمَّ إلى زميلتك المصابة ، فى رحلة بلا عودة .

وارتجفت الكلمات على شفتيها ، من فرط الانفعال ، وهى تضيف :

ـ رحلة إلى الجحيم .. مباشرة .

وتضاعف غضب (أدهم) ..

ألف مرة ..

* * *

« عجبًا ! »

غمغم قناص الهليكوبتر بالكلمة ، فى دهشة حقيقية ، وهو يتطلَّع إلى جسد المتسلِّل ، المسجى على فراش



قاطعه (جراهام) فى عصبية ، وهو يفحص نبض المتسلل .

صغير ، فى منتصف قاعة واسعة خالية ، قبل أن يهز رأسه متابعًا :

ـ بعد كل ما أصبته به ، لم يلق مصرعه بعد !

زمجر (جراهام) ، وهو يعيد هاتفه المحمول إلى جيبه ، قائلاً فى غضب هادر :

ـ هذا من حسن حظكم .

ـ بدت الدهشة على وجه القنّاص ، وهو يقول فى حيرة :

ـ ولكن الأوامر كانت ..

قاطعه (جراهام) فى عصبية ، وهو يفحص نبض المتسلّل ؛ للتأكد من أنه مازال على قيد الحياة :

كنا نحاول حماية أوراقنا ووثائقنا ؛ لأن انكشافها يكفى لتدمير كل خططنا المستقبلية ، ويفسد تمامًا علاقتنا الوثيقة بالولايات المتحدة الأمريكية ، القطب الأوحد فى مطلع القرن الحادى والعشرين ، والتى لن تغفر لنا قط مخططنا العبقرى ، الذى انتهى بتدمير برجى تجارتها العالميين ، وسحق أسطورة مناعتها الوهمية .

قال القناص فى توتر :

ـ ولكننا لسنا من هاجم برجيهما .

قال (جراهام) فى حدة :

ـ البريطانيون أيضًا لم يهاجموا ميناء (بيرل هاربور) ، فى الحرب العالمية الثانية ، ولكن خطتهم العبقرية هى التى دفعت اليابانيين إلى هذا(*) .

لم يستوعب القنّاص المنطق ، ربما لأن عقليته لم يتم صقلها ، بنفس القدر الذى اهتم به رؤساؤه ، عندما صقلوا قدرته على القنص ، لذا فقد اكتفى بهز رأسه ، وهو يقول فى حيرة حذرة :

ـ ولكننا عثرنا على أوراقنا كاملة معه بالفعل .

أشار (جراهام) بسبّابته ، قائلاً فى توتر :

ـ وعثرنا معه أيضًا على آلة تصوير رقمية ، خالية من بطاقة تسجيل الصور الإليكترونية ، على الرغم من

(*) حقيقة تاريخية ، كشفتها الوثائق السرية البريطانية ، عندما بدأ نشرها ، بعد مرور نصف قرن على الحدث ، وفقًا لقانون الوثائق البريطانى .

أن عدادها قد أعلن أنها قد استخدمت ، قبيل إيقاعنا به بقليل ، فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، من وجهة نظرك .

تضاعفت الحيرة فى وجه القنّاص ، وانفجرت شفتاه ، على نحو جعله أقرب إلى البلاهة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع (جراهام) فى عصبية :

ـ يعنى ببساطة ، أنه قد التقط صور الوثائق والأوراق كلها ، ثم انتزع بطاقة التسجيل الإليكترونية ، وأخفاها فى مكان ما .

سأله القنّاص فى حيرة :

ـ أين ؟! إنه لم يغادر السطح ، إلا ليقفز بمظلته ، كما أكد رجال طاقم الحراسة !

زفر (جراهام) فى عصبية ، قائلاً :

ـ لا أحد يدرى .. لقد فتشنا شقة (روتشيلد) ، وسطح المبنى ، وكل شبر من حواجزه ، دون أن نعثر على تلك البطاقة ، وخبراؤنا فحصوا كل سنتيمتر من حقيبة

ذلك المتسلل ، وحذائه ، وملابسه ، وحتى جسده ، والنتائج ما زالت سلبية .

قلب القناص كفيه ، وهو يغمغم فى حيرة :

ـ أين أخفاها إذن ؟!

قال (جراهام) فى حدة :

ـ لا أحد يعلم .

ثم أدار عينيه إلى جسد المتسلل المصاب فى مقت ، مضيفًا :

ـ سواه .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع فى غضب :

ـ لذا ، فقد استدعيت مستشارنا الطبى هنا ، مع فريق من الأطباء والجراحين ؛ لعمل كل ما يمكنهم ، حتى يبقى ذلك الرجل على قيد الحياة ، ويستعيد وعيه ؛ ليخبرنا أين أخفى تلك البطاقة الإليكترونية ، وبعدها ..

توقف عند هذه النقطة ، فسأله القناص فى اهتمام :

ـ وبعدها ماذا ؟!

امتزج حاجبا (جراهام) ، وحمل صوته كل غضب ومقت الدنيا ، وهو يجيب :

ـ سأسحقه سحقًا .

نطقها بصرامة وغضب وقسوة ..

منتهى القسوة ..

* * *

على الرغم من المدافع الآلية الأربعة ، المصوبة إليه فى تحفز ، ومن وجوده داخل المقر الرئيسى لدونا (كارولينا) ، زعيمة منظمة (المافيا) الإجرامية ، فى الطابق الثالث والستين والأخير ، من مبناها الرئيسى ، فى قلب (نيويورك) ، بدا (أدهم صبرى) قويًا ، واثقًا ، صارمًا ، وهو يقول فى غضب :

ـ ما تفعلينه الآن سيفسد كل شىء بيننا يا دونا .

لوّحت بذراعها ، قائلة فى حدة ، وهى تطفئ سيجارتها ، قبل أن يكتمل احتراق تبغها :

ـ إنك لم تترك لى الخيار .

انعقد ساعداه أمام صدره ، وهو يقول بلهجة قاسية :

ـ أهذا قرارك النهائى ؟!

قالت فى عصبية :

ـ أنا زعيمة يا (أدهم) ، وليس من حقى أن أترك لمشاعرى الشخصية العنان ، دون تقدير العواقب ، أو حساب تأثير أى قرار أتخذه ، على مصلحة العائلات ، أو ...

قاطعها فى صرامة :

ـ أو مصلحتك الشخصية .

صمتت لحظة ، ارتسم خلالها الغضب على وجهها بشدة ، قبل أن تقول فى حدة غاضبة :

ـ فليكن .. مصلحتى الشخصية لا تتعارض قط ، مع مصلحة (المافيا) العامة .

قال فى صرامة ، تسللت إليها لمحة ساخرة :

ـ أهذا ما تحاولين إقناع نفسك به ؟!

قالت فى صرامة قاسية :

ـ لست فى حاجة إلى هذا .

ران عليهما الصمت لنصف دقيقة ، وكلاهما يتطلّع إلى عينى الآخر فى تحدٍ ، قبل أن يحلّ (أدهم) انعقادة ساعديه ، متسائلاً فى بطء :

ـ هل أنت مستعدة ـ كزعيمة ـ لتحمّل نتائج قرارك هذا يا دونا ؟

توترت كل خلية فى جسدها ، مع اللهجة التى نطق بها عبارته ، والتى تشفّ عما يدور فى ذهنه ..

وفى ثانية أو أقل ، استعرض عقلها كل قدراته ومهاراته ، وأدركت ، دون أدنى شك ، أنه قادر على هزيمة رجالها الأربعة ، ومساعدها (كارلو) ، قبل حتى أن يدركوا أنه قد بدأ هجومه ..

إنها تعرفه جيدًا ..

وربما أكثر مما يعرفه أى شخص آخر ..

لا شيء يمكن أن يمنعه من الخروج ، إذا ما أراد هذا ..

لا رجالها الأربعة ، ولا مساعدها ، ولا أسلحتهم ..

ولا حتى وجوده ، فى مركز قيادة أقوى منظمة إجرامية فى العالم ..

إنها تعرفه ..

وتخشاه ..

وتحترمه ..

ولكنها لا يمكن أن تسمح له بهزيمتها هذه المرة ..

لقد وضعت خطتها كلها ، باعتباره جزءًا منها ..

لم تكن تتصوَّر أنه سيتخلَّى عنها ، بعد كل ما فعلته من أجله ..

لم تتخيَّل لحظة واحدة أن يتركها وحدها ، فى مواجهة كل زعماء العائلات ، فى (أمريكا) كلها ، من أقصاها إلى أقصاها ..

وربما يعنى هذا أنها لم تفهمه جيِّدًا ، كما كانت تتصوَّر ..

لم تفهم أنه ، وعلى الرغم من دماثته معها ، وشهامته فى كل مواقف واجهته ، مازال يضعها فى المرتبة الثانية ، عندما يتعلَّق الأمر بوطنه الأم .. (مصر) ..

ولكن لا ..

لن تسمح له بهزيمتها ..

لن تسمح له بالتخلِّى عنها ..

أبدًا ..

« اخفضوا أسلحتكم .. » ..

انطلقت العبارة من بين شفتيها ، بمنتهى الحزم

والصرامة ، على نحو مباغت ، أصاب رجالها ومساعدها بدهشة حقيقية ، إلا أنهم خفضوا أسلحتهم على الفور ، طاعة لأمرها ، فى حين زاد انعقاد حاجبى (أدهم) ، وهو يقول :

- أقرار حكيم هذا ، أم ..

قاطعته فى توتر :

- رجالى وأسلحتهم لا يصلحون للسيطرة عليك .

عاد يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً .

- من الجيِّد أنك قد أدركت هذا .

تابعت فى حدة ، وكأنها لم تسمعه :

- ولكن ماذا عن زميلتك المصابة ؟!

أطلّ غضب مخيف من عينيه ، وهو يقول :

- ماذا عنها ؟!

تضاعفت عصبيتها ، وهى تشعل سيجارة أخرى ، قائلة :

- لاتنس أنها ما زالت فى مستشفاى الخاص ، محاطة برجالى ، الذين تحتم الأوامر الصادرة إليهم منى ، التخلُّص منها فورًا ، ودون أدنى تردُّد ، إذا ما حاول مخلوق واحد الوصول إليها ، دون أوامر مباشرة منى .

حمل صوته قدرًا مخيفًا ، من الصرامة والغضب ، وهو يقول :

- أى أسلوب حقير هذا ، الذى يضع فتاة مصابة وفاقدة الوعى ، كجزء من لعبة قذرة ؟!

صاحت فى حدة :

- قلت لك : ليس لدى خيار .

قال فى سرعة وحزم :

- أما أنا ، فلدى يا دونا .

شعرت بقشعريرة باردة كالثلج ، تسرى فى جسدها كله ، حتى إن لسانها قد تجمَّد فى حلقها ، وهى تحدِّق

فيه على نحو عجيب ، قبل أن تنتشلها انتفاضة مباغتة من جمودها ، لتهتف بصوت مختنق منفعل :

ـ هل اتخذت قرارك ؟!

أجابها بصرامة مخيفة :

ـ لقد اتخذته منذ البداية يا دونا .

والتمعت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

ـ أخبرتك أن (مصر) تناديني .

ارتجف صوتها ، واختنق دخان سيجارتها في حلقها ، وهي تقول في انفعال :

ـ ماذا تعني ؟!

بدا صوته أكثر صرامة ، وهو يجيب :

ـ من الواضح أنك لا تفهمين ، ربما بحكم انتمائك إلى منظمة إجرامية ، وليس إلى كيان محترم .. (مصر) تنادي يا دونا ، وهذا لا يمنحنا سوى خيار واحد ..

ومال نحوها ، مضيفًا ، بكل حزم الدنيا :

ـ أن نلبى النداء .

عادت تلك القشعريرة الثلجية تسرى فى جسدها ، وشملها ، وربما لأوّل مرة فى حياتها ، خوف رهيب ، مع نظرة عينيه القاسية ، واستطرادته الصارمة :

ـ أيًا كان الثمن .

أدركت ما يعنيه على الفور ، وانتفضت كل ذرة فى كيانها وهى تصرخ :

ـ أسلحتكم يا رجال .

ولكن صرختها لم تكن قد اكتملت أو حتى انتصفت ، عندما انقضّ هو كالإعصار .. وصرخ (كارلو) بدوره ، وهو يضغط على زر استدعاء كل أطقم الأمن فى المبنى :

ـ استنفار عام .

وكان هذا يعنى أن الموقف قد اشتعل تمامًا ، وأنه صار على (أدهم) ، بعد هدنة طويلة ، أن يواجه الوحوش ..

وحوش (المافيا) ..

المفترسة .

* * *



٣ ـ النداء..

« ولماذا (أدهم صبرى) بالتحديد ؟! » ..

ألقى السيد رئيس الجمهورية سؤاله هذا فى اهتمام ، وهو يتراجع بمقعده ، خلف مكتبه الأنيق البسيط ، فى مقر الرياسة ، فشدّ مدير المخابرات العامة قامته ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ (ن ـ ١) خبير في الشئون الإسرائيلية يا سيادة الرئيس ، ومصادرنا تؤكد أن عميلنا (عماد رامز) مازال على قيد الحياة ، فى قبضة الإسرائيليين ، الذين يحتفظون به فى مكان خفى ، لم نتوصّل إليه بعد ، داخل الحدود الإيطالية ، وأنهم يبذلون قصارى جهدهم ؛ لإسعافه ، وإعادته إلى وعيه ، بعد أن أكد مصدرنا أنهم لم يعثروا معه على بطاقة التسجيل الإليكترونية ، لآلة التصوير الرقمية ، التى كان يحملها فى مهمته ، وأنهم مستعدون لفعل أى شىء فى الوجود لاستعادتها ، قبل أن تقع فى قبضتنا ، ومهمة كهذه تحتاج إلى رجل مثل (ن ـ ١) .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول :

ـ وفقًا لمعلوماتى ، فعليمنا (عماد) هذا لا يحمل أى شىء ، يمكن أن يدل على هويته أو جنسيته ، وهذا يعنى أنه لاشأن لنا بالعملية ، من الناحية الرسمية المحضة ، وظهور أخطر وأشهر رجال مخابراتنا فى الأمر ، لايتناسب مع هذا .

أجابه مدير المخابرات بابتسامة خفيفة :

ـ ربما كان هذا أحد الأسباب ، التى رشحنا من أجلها (ن ـ ١) للقيام بالعملية ، ياسيادة الرئيس ؛ فقدراته المدهشة على التنكر ، تجعله قادرًا على اقتحام العملية ، دون أن يفطن إلى ماهيته أحد .

أشار الرئيس بسبابته ، قائلا :

ـ الإسرائيليون ليسوا أغبياء ، وما إن يستخدم (أدهم) قدراته الفائقة ، التى تميّزه عن أى رجل مخابرات آخر فى العالم ، حتى يدركون ماهيته على الفور .

قال مدير المخابرات ، وقد اتسعت ابتسامته قليلاً :

ـ أنا واثق من أنه لن يمكنهم إثبات هذا أبدًا ، ياسيادة الرئيس .

تطلّع إليه رئيس الجمهورية بضع لحظات فى صمت ، قبل أن ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ كلانا يعلم أن أمورًا عديدة قد تغيّرت ، بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ، عام ألفين واحد ، وأخطرها على الإطلاق أن الولايات المتحدة الأمريكية قد شعرت ، وكأن كرامتها وهيبتها قد أهينتا ، على نحو لم يسبق له مثيل ، فى تاريخها كله ، مما يحتم عليها الانتقام ، وبمنتهى العنف .

وصمت الرئيس بضع لحظات ، وهو يقف أمام نافذة حجرة مكتبه ، قبل أن يتابع :

ـ ولقد استغلّ الإسرائيليون هذا ، على أسوأ نحو ممكن ، لتحقيق أغراضهم الدنيئة ، وتحول كفة الموقف كله لصالحهم وحدهم .

غمغم مدير المخابرات :

ـ كالمعتاد .

وافقه الرئيس بإيماءة من رأسه ، قبل أن يلتفت إليه ، متابعًا :

ـ ولكننا كشفنا لعبتهم القذرة .

أومأ مدير المخابرات برأسه هذه المرة ، وهو يقول ، وكأنما يكمل حديث الرئيس :

ـ من الواضح أنهم يجيدون قراءة تاريخ الجاسوسية ، وخاصة تلك العمليات ذات الطابع الخاص ، والتى دارت خلال الحرب العالمية الثانية ، وبالذات عملية خداع البريطانيين لليابانيين ، عن طريق رسائل شفرية وهمية ، ذات طابع أمريكى ، وبعض البوارج الحربية ، التى استُبدلت أعلامها البريطانية بأعلام أمريكية ، بحيث تصورّ اليابانيون أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتوجيه ضربة بحرية قاصمة ، للأسطول اليابانى ، مما دفعهم إلى الإسراع بتوجيه ضربة

إجهاضية للأسطول الأمريكى ، فى (بيرل هاربور) ، كانت سببًا فى دخول (أمريكا) الحرب بكل ثقلها ، مما خفف الضغط عن الجيوش البريطانية والروسية ، وقلب الموازين القتالية كلها ، وأدى فى النهاية إلى هزيمة (المافيا) و(اليابان)(*) .

هزّ الرئيس رأسه ، قائلاً :

ـ من كان يتصورّ أن تُقدم (إسرائيل) ، على التخطيط لدفع الآخرين إلى توجيه ضربة كهذه لحليفتها (أمريكا) ؟!

قال مدير المخابرات فى حزم :

ـ الإسرائيليون لا يعترفون بالصداقة أو التحالف ، ولا يحترمون أية مواثيق أو معاهدات ؛ فبالنسبة لهم ، لم يُخلق العالم إلا لخدمة مصالحهم فحسب .

تنهّد الرئيس قائلاً :

ـ هذا صحيح .

(*) عملية حقيقية ، تم إعلان تفاصيلها ، مع نشر الوثائق السرية البريطانية ، بعد مرور نصف قرن ، على نهاية الحرب العالمية الثانية ، فى عام ١٩٩٥م .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ ولقد نجحوا فى هذا إلى حد كبير ، حتى إن إثبات هوية رجلنا (أدهم) أو انتمائه ، لن يكون له أهمية كبيرة لديهم .

والتقط نفسًا عميقًا ، ليكمل بحزم أكبر :

ـ والوسيلة الوحيدة ، لإفساد كل ما فعلوه ، هو أن نحصل على صور تلك الأوراق ، قبل أن يتوصّلوا هم إليها ، قبل أن يمكنهم إثبات أن (عماد) هو أحد رجالنا أيضًا .

عاد مدير المخابرات يشدّ قامته ، متسائلا :

ـ ألديك اقتراح بعينه يا سيادة الرئيس ؟!

بدا له شبح ابتسامة ، على شفتى الرئيس ، وهو يتجه إلى مكتبه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

انتبهت حواس مدير المخابرات ، وهو يتابع ببصره الرئيس ، الذى استقرّ خلف مكتبه ، قبل أن يتابع فى حسم :

ـ لدى فكرة ، تجعلنا نستطيع التدخُل فى الأمر بوضوح ، وإرسال رجلنا (أدهم) لمواجهة الأمر ، بكل قوته وقدراته المدهشة ، دون أن نكشف ، فى الوقت ذاته ، أن (عماد) هو أحد ضباط مخابراتنا .

سأله مدير المخابرات فى اهتمام :

ـ وما هى يا سيادة الرئيس ؟!

أفصحت ابتسامة الرئيس عن نفسها ، وهو يسأل :

ـ هل تذكر شفرة الكود (ألفا) ؟!

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

ـ بالطبع يا سيادة الرئيس .. إنها الشفرة التى حصل عليها الإسرائيليون ، عبر جاسوسهم السابق ، الذى لقى مصرعه فى (باريس) ، منذ ثلاثة أشهر .

اتسعت ابتسامة الرئيس ، وهو يقول :

ـ بالضبط .. شفرة الكود (ألفا) هى شفرتنا ، التى أصبح الإسرائيليون يعرفونها الآن .

ثم مال نحو مدير المخابرات ، مضيفًا :

ـ ولكنهم لايعرفون أننا نعرف هذا .

انعقد حاجبا مدير المخابرات المصرى بضع لحظات فى شدة ، محاولاً استيعاب ما يعنيه رئيس الجمهورية ، ثم لم تلبث عيناه أن تألقتا ، وهو يهتف فى حماسة :

ـ آه .. فهمت .

فقد كانت فكرة السيد رئيس الجمهورية عبقرية ..

عبقرية بحق ..

* * *

بدأ رجال دونا (كارولينا) قتالهم ، وكل ذرة فى كيانهم ترتجف ؛ لأنهم يواجهون رجلاً ، تؤكد زعيمتهم نفسها أنه أسطورة ..

ومن حسن حظهم أن تلك الارتجافة لم تستغرق طويلاً ..

ففى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها (كارلو) صيحته ،

كان جسد (أدهم) يرتفع فى الهواء ، لتركل قدمه اليمنى سلاح أحد الرجال الأربعة ، فى نفس اللحظة التى حطمت فيها اليسرى أنف رجل آخر ، قبل أن يهبط على قدميه ، ثم يدور حول نفسه ، فى رشاقة مذهلة ، لتغوص قدمه اليمنى فى معدة الثالث ، ويعتدل لتنفجر قبضته اليسرى فى فك الرابع ..

وبكل رعب الدنيا ، تراجع (كارلو) ، وهو يسحب مسدسه ، فى اللحظة التى حسم فيها (أدهم) قتاله ، بثلاث لكمات متتالية ، ودونا تصرخ :

ـ ستدفع زميلتك الثمن يا (أدهم) .

تجاهلها (أدهم) تمامًا ، وهو يثب نحو (كارلو) ، ويقبض على معصم يده الممسكة بمسدسه ، ثم يلويه بقوة ، كادت تنطلق معها صرخة من بين شفتى مساعد زعيمة (المافيا) ، لولا أن أخرسها (أدهم) بلكمة ساحقة ، تراجع معها (كارلو) ، ليرتطم بالجدار فى عنف ، ويسقط على وجهه ، فى نفس اللحظة التى التقطت فيها دونا (كارولينا) هاتفها المحمول ، صارخة فى غضب :

ـ سآمر بقتلها فورًا ، ما دمت ..

«إنك لن تفعلى شيئًا يا دونا .. »

قبضت أصابع (أدهم) الفولاذية على يدها ، وانتزعت منها هاتفها المحمول ، وهو ينطق العبارة ، بكل صرامة الدنيا ، فانتفض جسدها فى عنف ، وهى تصرخ :

- لن يفلح هذا يا (أدهم) .. (كارلو) أطلق صفارة الإنذار الكبرى ، وهذا يعنى أنك لن تجد سبيلاً واحدًا ، للخروج من هنا ، دون أن أوافق على هذا .

قبضت أصابعه على معصمها بقوة ، وهو يفتح هاتفها المحمول ، ويخرج منه شريحة الاتصال ، ويلقى بها عبر النافذة ، وهو يقول فى صرامة :

- لا تقلقى نفسك بمشكلاتى الخاصة يا دونا .

صرخت :

- قلت لك : لن ..

بترت عبارتها ، عندما كتم فمها بكفه فى حزم ، وهو يجذبها إلى حيث ذلك الزر ، الذى ضغطه (كارلو) ، ثم

يضغط جزءًا من الجدار إلى جواره ، لينكشف زر أخضر اللون ، اتسعت عينا دونا عن آخرهما لمرآه ، وراحت تقاوم فى استماتة ، ولكن (أدهم) أحكم السيطرة عليها ، وهو يضغط الزر الأخضر ، قائلاً فى صرامة :

- انذار خاطئ .. كل شىء على ما يرام .. فليعد كل منكم إلى موقعه فورًا .

نطقها بصوت ولهجة (كارلو) ، على نحو مذهل ، جعل عينيها تتسعان مرة أخرى ، قبل أن تتضاعف مقاومتها له ، فى حين أغلق هو تلك الفجوة فى الجدار ؛ ليعيد إخفاء الزر الأخضر ، قائلاً :

- وفقًا لتعليماتك الصارمة ، النداء عبر هذا الزر الأخضر وحده ، يمكن أن يوقف تطورات صفارة الإنذار الكبرى ، ويعيد كل شىء إلى ما كان عليه .

ترك فمها ، مع نهاية كلماته ، فصاحت فى حدة وغضب :

- التعليمات يمكن معرفتها ، ولكن لا أحد سواى و(كارلو) ، يعرف موضع هذا الزر الأخضر السرى .

ارتفع حاجباه بدهشة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أى قول هذا يا دونا ؟! أهذه فكرتك المحدودة عنا .

ردت فى عصبية :

ـ عنا ؟!

مال نحوها ، مجيبًا :

ـ نعم .. عن المخابرات المصرية ..

قالت فى حدة :

ـ علاقتى لم تكن أبدًا مع المخابرات المصرية .. كانت معك وحدك .

ابتسم ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لا فارق يا دونا .. هذا ما كان ينبغى أن تدركيه منذ البداية .

حدقت فى وجهه بصمت ، فتابع فى حزم :

ـ المخابرات تعنى المعلومات .. لا يمكننا أن نتعامل

مع جهة ما ، أيًا كانت ماهيتها ، دون أن نسعى لمعرفة كل المعلومات الممكنة عنها .

انتفض جسدها من فرط الانفعال ، وهى تقول :

ـ كنتم تجمعون المعلومات عن منظمتى ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ كل ما يمكن من معلومات يا دونا ، منذ منشئكم فى (صقلية) ، وحتى هذه اللحظة .. كل ما تعرفه عنكم الشرطة الإيطالية ، والشرطة الفيدرالية الأمريكية ، وكل أجهزة المخابرات الكبرى تقريبًا ، و ...

قاطعته فى حدة :

ـ وكل ما عرفته أنت عنا .

رفع أحد حاجبيه وخفضه ، وهو يجيب :

ـ بالضبط .

حمل صوتها نبرة تحد واضحة ، وهى تقول :

ـ حتى لحظة غيابك فحسب .

انعقد حاجباه ، وهو يتطلّع إليها فى حذر ، فتابعت ، ونبرة التحدى ترتفع فى كلماتها وصوتها :

ـ فما نسيته هو أننا فى حالة طوارئ ، منذ بدأت حربى مع العائلات ، والطوارئ تستلزم تعديلاً جوهريًا ، فى كل القواعد والنظم . والتقطت علبة سجائرها بأصابع مرتجفة ، من فرط الانفعال ، وهى تتابع :

ـ وأهم هذه التعديلات ، أن الزر الأخضر وحده ، لم يعد يكفى لإعلان إنهاء حالة الطوارئ القصوى .

قالتها ، وضغطت زرًا آخر ، اشتعلت معه كل شاشات المراقبة فى حجرتها ، وهى تضيف فى حدة :

ـ كما ترى .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يرفع بصره إلى شاشات المراقبة ، التى نقلت كلها صور رجال دونا (كارولينا) ، الذين حاصروا مكتبها ، وانتشروا فى كل ممرات المبنى ، وأغلقوا كل مداخله ومخارجه ، وهم يحملون مدافعهم الآلية القوية ، والتحفز ، كل التحفز ، يرتسم على ملامحهم ..

وفى شماتة واضحة ، نفثت دونا (كارولينا) دخان سيجارتها ، قائلة :

ـ لم يعد هناك سبيل واحد ، للخروج من هنا يا (أدهم) .

ولم يعلّق (أدهم) على عبارتها ..

ولكن حاجباه انعقدا بشدة ، لم يسبق لها مثيل ..

فمع ما تنقله شاشات المراقبة ، كان كل شىء يوحى بأنها على حق ..

لم يعد هناك سبيل للخروج من مبنى قيادتها ، الذى يرتفع لثلاثة وستين طابقًا ..

لم يعد هناك أى سبيل ..

* * *

« الموقف ميئوس منه تقريبًا .. » ..

نطق طبيب السفارة الإسرائيلية فى (روما) العبارة ، فور انتهائه من فحص جسد (عماد) ، وهزّ رأسه ، مستطردًا :

- الواقع أنكم قد أسرفتم فى إصابته يا أدون (جراهام) .

زمجر (جراهام) ، قائلاً :

- اهتم بشئونك وحدها أيها الطبيب .

أجابه الطبيب فى صرامة :

- هذه شئونى أيضًا يا أدون (جراهام) ، مادمتم تطلبون منى القيام بمعجزة طبية ، وإعادة رجل نصف ميت إلى الحياة .

قال (جراهام) فى حدة :

- ومن طلب إعادته إلى الحياة ؟!

بدت الدهشة على وجه الطبيب ، وهو يحدق فى وجهه بدهشة ، فتابع (جراهام) فى وحشية شرسة :

- كل ما أريده هو أن يعود إلى وعيه ؛ ليخبرنا بما يخفيه ، ثم فليذهب بعدها إلى أعمق أعماق الجحيم .

انعقد حاجبا الطبيب بضع لحظات ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة مقيتة ، وهو يقول :

- آه .. فهمت .

سأله (جراهام) ، بلهجة أقرب إلى الزمجرة :

- أهذا ممكن ؟!

مطّ الطبيب شفتيه ، وهزّ كتفيه ، مجيبًا :

- بالتأكيد .

هتف (جراهام) :

- عظيم .. ماذا تنتظر إذن ؟!

لم يكد هتافه يكتمل ، حتى اندفع أحد رجاله إلى المكان ، وهو يقول فى انفعال لاهث متوتر :

- أدون (جراهام) .. برقية عاجلة من (تل أبيب) .

انعقد حاجبا (جراهام) ، وهو يختطف البرقية من يده اختطافًا ، ويقرؤها فى لهفة ، قبل أن يقول فى عصبية :

- عجبًا !

سأله الطبيب فى اهتمام :

- ماذا هناك ؟!

زمجر فى وجهه بوحشية ، قائلاً :

ـ قلت لك : اهتم بشئونك فحسب .

بدا الحنق على وجه الطبيب ، إلا أنه أطاع الأمر ، وبدأ يتعامل مع (عماد) الفاقد الوعى ، فى حين اقترب (إيريل شندلر) ، رجل المخابرات الإسرائيلى ، من رئيسه (جراهام) ، وهمس فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

قبض (جراهام) على ذراعه ، فى قوة آلمته ، وهو ينتحى به جانبًا فى خشونة ، ويهمس له فى عصبية :

ـ هل تذكر شفرة الكود (ألفا) ، التى كشفنا أمر تعامل المصريين بها ؟

أجابه (شندلر) فى اهتمام :

ـ بكل تأكيد .. لقد كانت واحدة من أفضل عملياتنا ، حتى إن المصريين لايعلمون أننا قد كشفنا أمرها .

قال (جراهام) بنفس العصبية :

ـ بالضبط ، لذا فقد استخدمها عميل لهم ؛ ليبلغهم بما حدث فى منزل (روتشلد) .

ارتفع حاجبا (شندلر) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ولماذا يحتاج الأمر إلى شفرة الكود (ألفا) ، أو أية شفرة أخرى ؟! المفترض أنها عمليتهم ، ومن الطبيعى أن يعلموا بتطوُّراتها .

عضّ (جراهام) شفته فى غيظ ، قائلاً :

ـ ليس هذا ما تقوله برقياتهم الشفرية .

سأله (شندلر) فى توتر :

ـ ماذا تعنى يا أدون (جراهام) ؟!

أجابه (جراهام) فى حدة :

ـ برقياتهم تقول : إنهم قد فوجئوا بما حدث ، وإن عميلهم قد أبلغهم بالتفاصيل ، على نحو بالغ الدقة ، حتى إنهم قد قرّروا إرسال بعض رجالهم ؛ للتأكد من صحة

المعلومة ، والبحث عن بطاقة التسجيل الإليكترونية ، التى لم نعثر نحن عليها حتى الآن ، والتى تحوى صور أوراقنا السرية .

هتف (شندلر) :

ـ أية سخافة هذه ؟!

عاد (جراهام) يعضّ شفته ، قائلاً فى سخط :

ـ الأسخف أنهم يطلبون من عميلهم بذل قصارى جهده ، لمعرفة هوية ذلك المتسلل ، الذى قام بالعملية .

شفّت كل خلجة من خلجات (شندلر) عن حالة الذهول ، التى شملت كيانه كله ، وهو يحدّق فى وجه رئيسه ، قبل أن يقول على نحو ، جعله أشبه بالأبله :

ـ هويته ؟! أليس مصريًا ؟!

دسّ (جراهام) البرقية فى جيبه بحركة عصبية ، وهو يهتف :

ـ أنا واثق من هذا تمامًا .

ثم أدار عينيه إلى (عماد) ، الغارق فى غيبوبة عميقة ، يسعى الطبيب الإسرائيلى لإخراجه منها ، وأضاف فى مقت :

ـ ولكن برقيتهم الشفرية توحى بعكس هذا .

ظلّ وجه (شندلر) يحمل ذهوله بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، مغمغمًا فى توتر :

ـ من الواضح أننا قد تسرّعنا فى ..

قاطعه (جراهام) فى حدة :

ـ لا تصدقهم .

ثم برقت عيناه فى غضب شرس ، وهو يضيف :

ـ يلوح لى أن المصريين يعبثون بنا .. يلعبون لعبة كبيرة لخداعنا .

غمغم (شندلر) فى تردُّد :

ـ ولكنهم يستخدمون شفرة بلغة السرية ، يتصوّرون أننا لن نكشف مفتاحها قط .

انعقد حاجبا (شندلر) فى شدة، وهو يقول :

ـ فى عالمنا، لا يمكنك أن تثق بأى شىء .

هتف (شندلر) فى انفعال :

ـ هل تعنى أنه من المحتمل أن ..

قاطعه (جراهام) فى صرامة :

ـ فى عالمنا، كل شىء محتمل .

سأله (شندلر)، فى لهجة أشبه باللهاث :

ـ وماذا علينا أن نفعل، فى مثل هذا الموقف ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ أن نستعيد أسرارنا بأقصى سرعة .

ثم عاد يتطلع إلى (عماد) فى مقت جارف، مضيفًا :

ـ وبأى ثمن .

نطقها بصوت حمل كل غضب وثورة الدنيا ..

كله ..

كعادته، فى مثل هذه المواقف، انطلق عقل (أدهم) يعمل بسرعة الصاروخ، وعيناه ترصدان شاشات المراقبة، التى أكدت أن مبنى دونا (كارولينا)، الشاهق بطوابقه الثلاثة والستين، فى قلب (نيويورك)، قد تحوّل إلى قلعة حصينة، بكل ما تحمله الكلمة من معان ..

أكثر من خمسمائة رجل، من رجال منظمة (المافيا) ينتشرون فى كل طرقات وممرات المبنى، بأسلحتهم الآلية، ونظرات التوتر والتحفز والشراسة، التى تطلّ من عيونهم جميعًا بلا استثناء، وكل ذرة فى كيانهم مستعدة للانقضاض على أى مخلوق، لا يحمل أوامر مباشرة صريحة، من دونا (كارولينا)، بالخروج من المكان ..

«موقف يائس .. أليس كذلك ؟!» ..

نطقتها دونا فى عصبية، وهى تنفث دخان سيجارتها فى قوة وتوتر، فشدّ هو قامته، وقال فى سخرية :

ـ أهذا ما تتصوّرينه يا دونا ؟!

تضاعفت عصبيتها ، وهى تقول :

- لا داعى للمكابرة يا (أدهم) .. أعلم أنك رجل مخابرات غير عادى ، وأنك عائد على الفور من صحراء المكسيك ، حيث هزمت جيشًا بأكمله وحدك ، ولكن لاتنس أن جسدك يعانى بعض الإصابات ، من جراء هذا ، مما يمنعك من العمل بكامل كفاءتك ولياقتك ، ثم إنك هنا داخل أكثر مبانى العالم حصانة ، وبخبرتى الطويلة فى هذا المضمار ، أؤكد لك أنه حتى البعوضة ، لن يمكنها تجاوز هذا الباب ، دون أن تشطرها رصاصات رجالى إلى شطرين .

قال بنفس السخرية :

- يبدو لى أنك واثقة من هذا ، على نحو لايقبل الشك .

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وهى تقول فى عصبية أكثر :

- قلت لك : لا تكابر .

أدار عينيه فى المكان فى سرعة ، قبل أن يسألها فى هدوء :

- وإلى متى سينتظر رجالك خارج المكان ، دون أن يبادروا باقتحامه مباشرة ؛ لإنقاذ زعيمتهم ؟!

قالت فى عصبية شديدة :

- رجالى أذكياء يا (أدهم) ، وهم يدركون جيدًا أنك أنت الموجود بالداخل ، ويعرفون أنك لن تعرّض حياتى للخطر ، لذا فسيمنحونك عشر دقائق كاملة لتراجع نفسك ، ثم ..

قاطعها فى هدوء عجيب :

أتعنين أنهم لا يراقبوننا الآن ، عبر شاشة أخرى ؟!

حاولت أن تستعير أسلوبه الساخر ، وهى تقول :

- أين قواعد الأمن ، التى لقنوك إياها فى جهاز مخابراتك يا سيد (أدهم) .. هل يصح أن يحصل التابعون على فرصة ، لمراقبة رؤسائهم ، على أى نحو كان ؟!

أقلقتها ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ كلاّ بالتأكيد .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

وأراهنك على أن الجدران هنا عازلة للصوت أيضًا .

شملتها حالة شك متوترة ، وهى تقول فى حذر :

ـ ولماذا تسأل ؟!

اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ كنت أتمنّى أن ترتكبى الخطأ نفسه مرتين .

قالت فى توتر بالغ :

ـ أى خطأ ؟!

تطلّع إلى عينيها الجميلتين مباشرة ، وهو يجيب :

ـ منح الخصم معلومات مجانية .

أدركت الفخ الذى أوقعها به ، وكادت تُطلق شهقة حنق ، إلا أنه جذبها فجأة ، إلى أبعد ركن عن مكتبها ، وهو يقول :

ـ أرجو أن تغفرى لى هذا فى المستقبل يا دونا .

قاومته فى عنف ، وهى تصرخ :

ـ لا فائدة من كل ما تفعل يا (أدهم) .

انتزع أحد أسلاك الهاتف الطويلة ، ليقيّدها به فى إحكام ، إلى أحد الأعمدة الأنيقة التى تمنح مكتبها طابعًا خاصًا ، وهو يقول :

سنختبر هذا الآن يا عزيزتى دونا .

صرخت :

ـ لن تخرج من هنا حيًّا .

هزّ كتفيه فى لا مبالاة ، قائلاً :

ـ الأعمار بيد اللّه (سبحانه وتعالى) وحده ، يا زعيمة (المافيا) .

صاحت فى غضب :

ـ أينطبق هذا على زميلتك أيضًا ؟!

أخرج منديله من جيبه ، وهو يقول :

ـ بكل تأكيد يا دونا .

صاحت فى حنق :

ـ عظيم .. هذا سيضمن لى مصرعكما معًا ، فأمامك أقل من تسع دقائق ، قبل أن يقتحم رجالى المكان ، وعندما يدركون ما حدث ، سيلغون الجميع ، وسيقتل رجالى فى المستشفى زميلتك (جيهان) فورًا ، و ...

دس منديله فى فمها فجأة ؛ ليمنعها من مواصلة حديثها ، وهو يقول فى صرامة ، فاقت كل ما سبقها :

ـ من الواضح أنك مازلت عاجزة عن استيعاب الموقف بحق يادونا .. لقد أخبرتك أن (مصر) تنادينى .

هزت رأسها فى عنف ، محاولة عبثًا التخلص من ذلك المنديل ، أو دفعه بلسانها خارج فمها ، فى حين اتجه هو نحو النافذة ، وفتحها ، وهو يواصل :

ـ وليس لدينا خيار ، سوى أن نلبى النداء .

وتوقف لحظة ، ألقى خلالها نظرة عبر النافذة ، التى ترتفع ثلاثة وستين طابقًا عن لأرض ، قبل أن يضيف بمنتهى الحزم :

ـ مهما كان الثمن .

وبكل ذهول وذعر الدنيا ، اتسعت عيناها عن آخرهما ، وقد شملها انفعال عارم ، سيطر على كيانها كله .

فأمام عينيها مباشرة ، ودون ذرة واحدة من التردد ، وثب (أدهم) عبر نافذة الطابق الأخير ..

مباشرة ..

* * *





فانمام عينيها مباشرة ، ودون ذرة واحدة من التردُّد ، وثب (أدهم) عبر نافذة الطابق الأخير ..

٤ـ مهمتها ..

«لن أغفر لهم هذا أبدًا ..»

ابتسم (قدرى) ، خبير التزييف والتزوير ، فى المخابرات العامة المصرية ، عندما نطقت (منى توفيق) هذه العبارة فى غضب ، داخل معمله الصغير ، وقضم قضمة كبيرة من شطيرته الساخنة ، قبل أن يلوِّح بيده الحرة ، قائلاً :

ـ ما فعلوه ليس جريمة يا (منى) .. الأمور كانت معقَّدة بحق ، وهم يعلمون مدى ارتباطك بزميلنا العزيز (أدهم) ، وبأنك سوف ..

قاطعته فى حدة :

ـ كان ينبغى أن أعلم بما يواجهه هناك ، فى صحراء (المكسيك) .

التهم ما تبقى من شطيرته دفعة واحدة ، وقال بفم ممتلئ بالطعام :

- كلاً ..

هتفت فى سخط :

- ماذا تعنى بكلاً ؟!

لوّح بيديه ، وهو يلتهم ما بفمه من طعام ، محاولاً أن يقول شيئًا ، ثم لم يلبث أن سعل ، فأسرع يلتقط زجاجة مياه غازية مثلجة ، ويفرغ بعضها فى جوفه ، قبل أن يربّت على كرشه الضخم ، قائلاً :

- وفقًا للقواعد التى تعلمناها هنا ، لم يكن ينبغى عليهم إبلاغك بأى شىء كان ، فليس من حقك معرفة إلا ما يرغبون فى تعريفك إياه فحسب .

دمعت عيناها ، وهى تقول فى مرارة :

- أعلم هذا .

ثم أسرعت تمسح دموعها ، قبل أن تنهمر من عيناها ، وهى تكمل :

- ولكننى أكاد أموت رعبًا ، كلما تخيلت أنه من الممكن أن .. أن ..

عجزت عن النطق بما تشعر به ، فتركت لدموعها العنان ، وهى تقول :

- أن تعرف شعورى نحوه يا (قدرى) .

تطلّع إليها (قدرى) فى حنان مشفق ، وغمغم :

- أعرف يا عزيزتى .. أعرف شعورك نحوه ، وشعوره نحوك كذلك ، وما يدهشنى أنكما لم تتزوّجا بعد ، مع كل هذا الحب الجارف ، الذى يملأ كيانيكما .

انهمرت دموعها أكثر ، وهى تقول :

- ليس هذا ما يشغلنى الآن يا (قدرى) .. كل ما أتمناه الآن هو أن أراه مرة ثانية .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى مرارة وأسى :

- فى هذه الحياة .

ربّت (قدرى) على كتفها ، فى حنان شديد ، وهو يقول :

- لا داعى لكل هذا التشاؤم يا عزيزتى .. كلانا يعلم أن (أدهم) قد تجاوز محنته الأخيرة بسلام ، باستثناء بعض الإصابات المحدودة ، وأنه لن يلبث أن يعود إلى هنا بخير .

هزّت رأسها ، وتنهدت من أعماق قلبها ، وهى تقول :

- مع (أدهم) ، لا يمكنك أن تجزم بشىء يا (قدرى) .. أى شىء .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين جهاز الاستدعاء الذى تحمله ، فالتقطته فى سرعة ، وغمغمت فى شىء من التوتر ، وهى تلقى نظرة على شاشته :

- عجبًا ! الاستدعاء من مكتب المدير شخصيًا .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، وهو يقول :

- المدير ؟! تُرى ماذا هناك ؟!

لم تحصل على جواب لسؤاله ، حتى استقبلها مدير المخابرات فى مكتبه ، وهو يشير إليها بالجلوس ، قائلاً :

- تفضّلى أيتها المقدّم . لدى مهمة لك .

قالت فى حماسة صادقة :

- أنا رهن إشارتك يا سيادة المدير .

تراجع المدير فى مقعده ، وهو يقول :

- إنه أمل يتعلّق بمهمة العقيد (عماد رامز) الأخيرة .

وفى دقة - كالمعتاد - روى لها مدير المخابرات كل الملابسات ، المتعلّقة بعملية التسلّل ، التى قام بها (عماد) فى (روما) ، والتى انتهت بمحاولة الإسرائيليين المستميتة ؛ لاستعادة الصور الإليكترونية لأوراقهم السرية ، قبل أن تنكشف مؤامرتهم القذرة ، أمام العالم كله ، وبخاصة أمام حلفائهم الأمريكيين .

ولقد استمعت إليه (منى) ، بمنتهى الاهتمام والانتباه ، حتى انتهى من روايته ، ثم اعتدل ، قائلاً فى حزم :

ـ ولقد وقع اختيارى عليك ، للقيام بالجزء الأوّل من هذه المهمة العسيرة أيتها المقدّم .

ردّدت فى حذر متسائل :

الجزء الأول ؟!

أجابها المدير فى صرامة :

ـ نعم .. ففى الجزء الثانى من العملية ، سينضمّ إليك زميل .

غمغمت ، فى حذر أكثر :

ـ زميل ؟!

رمقها مدير المخابرات بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ هل ستواصلين إلقاء الأسئلة على هذا النحو أيتها المقدّم ؟!

اعتدلت بسرعة على مقعدها ، وقالت فى حزم :

ـ كل ما أنشده هو معرفة المطلوب منى بالضبط يا سيادة المدير .

بدا صوته حاسمًا حازمًا ، وهو يقول :

ـ استمعى إلىّ جيدًا .

ولساعة كاملة ، وفى وجود مجموعة منتقاة من خبراء الجهاز ، ومستشارى المدير ، استوعبت (منى) تفاصيل عملية الأوراق المكشوفة ..

استوعبتها تمامًا ..

والواقع أنها كانت خطة معقّدة ، ومحفوفة بالخطر ..

كل الخطر ..

* * *

هل سبق لك أن ألقيت نظرة عبر نافذة ، من ارتفاع ثلاثة وستين طابقًا ؟!

إنه مشهد رهيب ، يشبه كثيرًا ما يمكن أن تراه ، من نافذة طائرة ، تحلق على ارتفاع متوسط نسبيًا ..

وفقًا للمعايير القياسية ، فى مدينة (نيويورك) ، كان هذا يعنى ما يزيد على مائتى متر ، عن سطح الأرض .

من هذه المسافة تقريبًا ، قفز (أدهم) ..

بجرأة وشجاعة يحسد عليهما ، دون ذرة واحدة من التردُّد ، وثب عبر نافذة الطابق الثالث والستين ، من مبنى قيادة دونا (كارولينا) .

ولثوان خمس ، سبح جسده فى الهواء كطائر ضخم ، ينقضّ على فريسة خفية .. ووفقًا لعجلة الجاذبية الأرضية(*) ، كان هذا يعنى أنه قد قطع ما يقلّ قليلاً عن الخمسين مترًا ، وهو يستخدم كل خبراته السابقة ، فى القفز والهبوط بالمظلات ، لتوجيه جسده نحو منصة معدنية خارجية ، من تلك المنصات ، التى يستخدمها عمال النظافة ، لمسح نوافذ المبنى من الخارج ..

(*) تبلغ عجلة الجاذبية الأرضية ، أو سرعة سقوط أى جسم ، من أعلى إلى أسفل ، (٣٢،٢) قدم/ثانية ، أو (٩٨١) سم/ثانية .

كانت المنصة متروكة عند الطابق السادس والأربعين ، وعلى بعد ثمانية أمتار أفقية ، من مسقط نافذة مكتب دونا (كارولينا) ..

وكان الظلام يحيط بكل شىء ، على الرغم من أن الأفق مازال يحمل لمحة من آخر أضواء الغروب ..

ولكن (أدهم) كان محترفًا فى مجاله ..

وأستاذًا فى عالمه ..

وعلى الرغم من أن ما فعله يندرج تحت بند المستحيلات ، التى يعجز أى عقل بشرى عادى عن تصديقها ، أو حتى استيعابها ، إلا أنه فعله ..

وبجرأة ومهارة مذهلتين ..

لقد مال جسده ، مع مهارته المدهشة فى توجيهه فى أثناء السقوط ، وقطع تلك الأمتار الأفقية الثمانية تدريجيًا ، خلال تلك الثوانى الخمس ، ليبلغ المنصة المعدنية فى الوقت المناسب ..

وبكل قوته ، تعلَّق بالحاجز المعدنى للمنصة ، التى ارتجَّت فى عنف ، مع ذلك الثقل المباغت ، وكادت الأحبال السميكة التى تحملها تتمزَّق ، من قوة الارتطام ..

ولكن (أدهم) تحرك بسرعة مذهلة بحق ..

وبمهارة يعجز القلم عن وصفها ، مهما بلغت بلاغته ..

ففى نفس اللحظة ، التى أمسك فيها بحاجز المنصة ، وعلى الرغم من أن هذا سيستفز كل علماء علم وظائف الأعضاء والطب الطبيعى ، انقبضت عضلاته كلها دفعة واحدة ، ليثب جسده فى مرونة مدهشة ، إلى داخل المنصة ..

كان قلبه يخفق فى عنف ، وجراحه كلها تنزف مرة أخرى ، إلا أنه كان يدرك جيدًا أنه لكل ثانية ثمنها ، فى هذه اللحظات ..

كل ثانية ..

وبسرعة مدهشة ، أدار المحرك المسئول عن صعود وهبوط المنصة ، وهو يغمغم :

ـ خطأ أمنى آخر يا دونا .. لا ينبغى ترك وسيلة صالحة لنقل الخصم ، حتى ولو كانت خارج المبنى .

ترك المنصة تهبط بسرعتها المحدودة ، وهو يلتقط حبل الطوارئ المثبت بحاجزها ، ويعقد حزامه حول وسطه فى إحكام ، قبل أن يلتقط هاتفه المحمول ، ويضغط أزراره فى سرعة ، ثم يقول فى صرامة ، وقد أضاف إلى لغته الأمريكية لكنة إسبانية مقصودة :

ـ هنا سنيور (أميجو صاندو) ، مالك المؤسسة(*) .. تلك الطائرة الطبية المجهَّزة ، التى طلبت إعدادها ، مع الطاقم الطبى الخاص .. أريدها مستعدة للإقلاع فى أية لحظة ، فور وصول سيارة الإسعاف إلى المطار .. نعم .. سنقلع عبر المحيط .

أنهى الاتصال ، وأعاد الهاتف إلى جيبه ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، مغمغمًا فى توتر :

(*) راجع قصة (لمسة الشر) ... المغامرة رقم (٨٥) .

ـ هذه المنصة بطيئة للغاية ، ولقد فقدنا ثلاث دقائق ثمينة بالفعل .

كانت هناك مائة متر على الأقل ، مازالت تفصله عن الأرض ، مع سرعة الهبوط المحدودة للمنصة المعدنية ، لذا فقد هتف ، وهو يثب متجاوزًا حاجزها :

ـ وليست لدينا فرصة لتلك الرفاهية .

هوى جسده فى الفراغ ، لسبع ثوان أخرى ، قبل أن ينتهى طول الحبل ، فيتوقّف جسده بحركة حادة مباغتة ، على ارتفاع ثلاثين مترًا من سطح الأرض ..

ومن حسن الحظ ، أن الظلام قد أخفى هذه المبادرة المذهلة عن العيون ، وإلا لتجمّع سكان (نيويورك) عن بكرة أبيهم ، لرؤية تلك الواقعة غير المسبوقة ، لرجل يغادر مبنى من ثلاثة وستين طابقًا ، على هذا النحو المدهش ..

ولكن الوقت كان يمضى بسرعة مخيفة ، والمسافة التى تفصله عن ذلك المستشفى ، الذى ترقد فيه

(جيهان) ، تحتاج إلى خمس دقائق على الأقل ، فى مدينة مزدحمة مثل (نيويورك) ، على الرغم من أنها تبعد كيلومترًا واحدًا ، عن مبنى قيادة دونا (كارولينا) ..

وبسرعة ، رصدت عيناه كل ما حوله ، وراح عقله يبحث عن وسيلة لبلوغ الطريق بأقصى سرعة ممكنة ، دون أن يثير رجال دونا ، الذين انتشروا فى كل مكان ، للسيطرة على المبنى ، و...

وفجأة ، ارتفع رنين هاتفه المحمول ..

ارتفع على نحو مباغت غير متوقّع ، وعلى ارتفاع ثلاثين مترًا تقريبًا من الشارع وبسرعة ، وقبل أن تعجز ضوضاء الطريق عن إخفاء صوت الرنين ، تعلّق (أدهم) بالحبل السميك بإحدى يديه ، والتقط هاتفه المحمول بيده الأخرى ، ولكنه لم يكد يلقى نظرة على الرقم المدوّن على شاشته ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ..

لقد كان رقم هاتف مكتب دونا (كارولينا) الخاص ..

وبحركة سريعة ، وحتى لا يمنح نفسه فرصة للتردّد أو التفكير ، ضغط (أدهم) زر الاتصال ، قائلاً :

ـ الواقع أننى لم أتوقّعك بهذه السرعة يا دونا .

أتاه صوتها غاضبًا شامتًا ، وهى تقول :

ـ أشياء كثيرة لم تتوقّعها هذه المرة يا سيّد (أدهم) .. أهمها أن يستعيد (كارلو) وعيه بهذه السرعة ، ويحل وثاقى ، لنستعيد سيطرتنا على الأمور ، قبل أن تبلغ هدفك .

شعر (أدهم) بضيق حقيقى ، نجح فى منعه من بلوغ صوته ، وهو يقول :

ـ إننى حتى لم أبلغ الأرض بعد يا دونا .

قالت فى حزم ، حمل رنة زهو واضحة :

ـ أعلم هذا يا عزيزى (أدهم) .. أصارحك بأننى قد

ذُهلت إلى حد كبير ، عندما رأيتك تثب من نافذة حجرة مكتبى ، من هذا الارتفاع الشاهق ، إلا أننى لم ألبث أن أدركت بسرعة ، أنه لديك حتمًا وسيلة مدهشة ، لتجاوز مثل هذا الموقف .

قال فى سخرية ، بذل جهدًا حقيقيًا ليصبغ بها كلماته :

ـ عظيم .. والآن ماذا ستفعلين يا دونا ؟! إننى خارج مبناك بالفعل ، ورجالك لن يجازفوا بهجوم مباشر من الطريق ، أمام مئات المارة .

أجابته فى سخرية مماثلة ، وإن شابتها نبرة عصبية :

ـ ومن يحتاج هجومًا خارجيًا مباشرًا ؟!

مع آخر كلماتها ، انفتحت أمامه نوافذ الطابق التاسع من المبنى ، وارتفعت فى وجهه فوهات دستة من المدافع الآلية القوية ، التى بدت من خلفها وجوه رجال دونا (كارولينا) ، بكل وحشيتهم وشراستهم ... وتحفّزهم ..

وكان هذا يعنى أن محاولة (أدهم) قد فشلت ..

فشلت تمامًا ..

* * *

« لا بد من نقله إلى مبنى السفارة .. »

نطق الطبيب الإسرائيلى العبارة فى حسم ، وهو يشير إلى (عماد) ، قبل أن يتابع فى صرامة عصبية :

ـ إننى أتحدث من وجهة النظر الطبية البحتة ، ولا شأن لى بعقليتكم المخابراتية .. هذا الرجل سيلفظ أنفاسه الأخيرة ، على الرغم من كل ما أجريناه له من إسعافات ، لو لم يحظ بعناية طبية فائقة ، ويخضع لعملية جراحية عاجلة .

التقى حاجبا (جراهام) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ هذا مستحيل ! إننا هنا فى مكان آمن تمامًا ، ولا يمكننا أن نجازف بنقله إلى سفارتنا ، فى ظروف كهذه .

تنحنح (شندلر) ، قائلاً :

ـ معذرة يا أدون (جراهام) ، ولكن ...

قاطعه الطبيب ، وهو يقول فى حدة :

ـ فى هذه الحالة ، سأنفض يدى من العملية كلها ، وسأخلى مسئوليتى الطبية ، وليذهب هذا الرجل ، بكل ما يحمله من أسرار ، إلى أعمق أعماق الجحيم .

تنحنح (شندلر) مرة أخرى ، وهو يقول فى حذر :

ـ أعتقد أن ..

قاطعه (جراهام) هذه المرة ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجه الطبيب فى غضب ، صائحًا فى شراسة :

ـ اسمع يا هذا .. لو أنك تتصوّر أنه باستطاعتك فرض إرادتك علىّ ، لمجرّد أنك الطبيب المتاح هنا ، فأنت واهم تمامًا .. إما أن تؤدّى عملك كما ينبغى ، أو أعزلك منه برصاصة مباشرة فى رأسك .

صاح الطبيب فى غضب ثائر :

ـ افعلها فورًا إذن ، ولا داعى لإضاعة الوقت ؛ لأنه من العبث القيام بأى مجهود زائد ، فى مكان غير مجهّز أو ملائم كهذا ، مهما بلغت درجة غضبك يا رجل (الموساد) .

سحب (جراهام) مسدسه بالفعل ، وهو يصرخ :

ـ أيها الـ ...

أسرع (شندلر) يستوقفه ، ويمسك معصمه ، قائلاً :

ـ رويدك يا أدون (جراهام) .. الاقتراح ليس سيئًا إلى هذا الحد .

التفت إليه (جراهام) ، صائحًا فى غضب :

ـ هل سمعت ما يقترحه ؟!

أجابه (شندلر) فى سرعة ، وهو يخفض يده الممسكة بالمسدس فى رفق :

ـ بالطبع .. الرجل يحاول أن يؤدّى عمله فحسب ، ثم إننى أعتقد أن السفارة مكان مناسب للغاية ، للاحتفاظ بأسيرنا ، حتى يستعيد وعيه ، ويخبرنا ما نريد معرفته .

هتف (جراهام) مستنكرًا :

ـ سفارتنا ؟!

أجابه بنفس السرعة :

ـ أجل يا أدون (جراهام) ، ففى سفارتنا سنصبح على أرضنا ، كما تنص القوانين الدولية ، التى تعتبر أرض السفارة جزءًا من دولتها ، وليس من الدولة المستضيفة ، وداخلها تسرى قوانيننا نحن ، ثم إن دخول سفارتنا شبه مستحيل ، على عكس هذا المكان ، الذى لا يحميه سوى جهلهم به ، وما دام لديهم عميل بين صفوفنا ، كما تؤكد برقياتهم الشفرية ، فلا يمكننا حتى ضمان استمرار هذا النوع من الحماية .

بدت الكلمات منطقية تمامًا ، حتى إن حاجبا (جراهام) عادا ينعقدان ، وهو يبعد يد (شندلر) عن معصمه ، ويعيد مسدسه إلى جيبه ، قائلاً فى اهتمام ، يخلو من الغضب والعصبية :

ـ وماذا عن نقله ، من هنا إلى هناك ؟! هذا يستلزم سيارة إسعاف مجهَّزة ، يمكن رصدها ، واستنتاج ما يعنيه دخولها إلى أرض سفارتنا .

اندفع الطبيب يقول :

ـ هذا أمر يمكن التغلُّب عليه ، فبإمكاننا استخدام سيارة مناسبة ، مع تجهيزات طبية محدودة .. المهم أن يتم إسعاف هذا الرجل بأقصى سرعة .

ثم أضاف فى حزم :

ـ لو أنكم تريدونه حيًا .

رمقه (جراهام) بنظرة قاسية ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ فليكن .

ثم التقط هاتفه المحمول ، وهو يلتفت إلى (شندلر) ، قائلاً :

ـ قم بتنفيذ هذا فورًا .

نطقها ، وهو يضغط أزرار هاتفه المحمول فى سرعة ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى قال بكل الحزم والصرامة :

ـ (دونهام) .. اسمعنى جيدًا .. أنا (جراهام) .. (بل جراهام) ... سنرسل إليك شحنة مهمة بعد قليل .. أريد منك أن تتخذ كل الاحتياطات الممكنة ؛ لضمان عدم وصول أى مخلوق إليها ، حتى لو تحوّل مبنى السفارة إلى حصن حصين .. هل تفهم ؟! لا أريد ثغرة واحدة ، وإلا كان الثمن حياتك .

وأنهى المحادثة ، وكل ذرة فى جسده تشعر بتوتر لا محدود ..

فعلى الرغم من أن (عماد) سيتم نقله إلى قلب السفارة الإسرائيلية ، فى قلب (روما) ، ومن أنه سيحاط

بكل نظم الأمن والحماية هناك ، إلا أن شيئًا ما ، فى أعماق (جراهام) كان يشعر بعدم الارتياح ..

شىء لم يستطع إدراكه بوضوح ..

أبدًا ..

* * *

تألقت عينا دونا (كارولينا) فى ظفر ، وهى تراقب شاشة رصد إضافية ، فى حجرة مكتبها ، تنقل صورة (أدهم) ، المعلّق بوساطة الحبل الاحتياطى لمنصة النظافة ، أمام الدور التاسع من بنايتها الرئيسية ، وتراجعت فى مقعدها ، قائلة :

ـ من كان يتصوّر هذا يا (كارلو) .. لقد سيطرنا على (أدهم صبرى) .. على أسطورة عالم المخابرات .

غمغم (كارلو) ، فى لهجة تحمل كل القلق ، وهو يراقب بدوره تلك الصورة ، التى تنقلها كاميرا محمولة ، فى يد أحد رجال دونا ، الذين يصوبون فوهات مدافعهم الآلية إلى (أدهم) :

ـ ليس بعد يا دونا .. ليس بعد .

اعتدلت فى مقعدها بحركة حادة ، قائلة :

ـ ماذا تعنى ؟! ألا ترى ما أراه ؟!

قال فى توتر :

ـ أراه يا دونا ، ولكن عقلى يسترجع مواجهات أخرى ، أكثر عنفًا وصعوبة ، واجهها هذا الرجل ، ثم ظل بعدها حيًا ، ليواجه رجالنا هنا .

قالت فى صرامة :

ـ دعنى أصحح لك معلوماتك يا (كارلو) ، فما تراه أمامك ليس مجرّد مواجهة عادية .. لقد استعدنا سيطرتنا على الموقف ، بسرعة لم يتوقّعها صديقنا (أدهم) ، وأوقفناه وهو معلّق على مسافة ثلاثين مترًا من سطح الأرض ، ودستة من مدافع رجالنا الآلية مصوّبة إليه ، والكل متحفّز لإطلاق النار ، عند أوّل بادرة شك ، والأهم والأخطر من كل هذا ، أنه يعلم أن استعادتنا السيطرة ، تعنى أننى أستطيع

إصدار الأمر بقتل زميلته ، قبل أن يقطع مترًا واحدًا .

صمت (كارلو) لحظة ، قبل أن يقول فى خفوت ، لم يخل من رنة القلق والتوتر :

- هل تعتقدين هذا ؟!

عادت تتراجع فى مقعدها ، قائلة فى صرامة :

- بل أنا واثقة من هذا .

ثم أشارت إلى شاشة المراقبة الإضافية ، مستطردة فى حدة :

- وكما ترى ، فهو لم يفعل شيئًا .

كانت الشاشة تنقل صورة (أدهم) ، ورجالها يجنبونه إلى الطابق التاسع ، ومدافعهم مصوبة إليه ، دون أدنى مقاومة منه ..

وفى عمق وثقة ، تنهدت دونا (كارولينا) مضيفة :

- صدقنى يا عزيزى (كارلو) .. لقد استعدنا سيطرتنا على الموقف تمامًا .

فى اللحظة التى نطقت فيها عبارتها ، كان (أدهم) يرفع يديه مستسلمًا ، أمام رجال دونا ، بعد أن أعادوه إلى داخل المبنى ، وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، مصوبين إليه مدافعهم الآلية ، فى مزيج من التحفز والقلق ، على نحو جعله يبتسم ، قائلاً فى سخرية :

- أخبرونى يا رجال .. من منا يهدد الآخر الآن ؟!

صاح به أحدهم فى خشونة :

- سر أمامنا فى صمت .. الزعيمة تريدك فى مكتبها فورًا ، واعلم أنه لدينا أوامر بقتلك دون تردد ، لو حاولت المقاومة .

اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يرفع عينيه إلى آلة المراقبة ، فى ركن الطابق ، قائلاً :

لحسنت اللعبة هذه المرة يا دونا .. أراهن على أنك تستمتعين كثيرًا بمراقبة ما يحدث فى مبناك ، فآلات المراقبة تملأ كل ركن .

دفعه أحد الرجال بكعب مدفعه نحو المصعد ، قائلاً فى قسوة :

ـ قلنا : اصمت .

تجاهل (أدهم) هـذا تمامـًا ، وهـو يتجـه نحـو المصعد فى هدوء ، قائلاً بنفس السخرية اللاذعة :

ـ لقد أنفقت ثروة على أجهزة المراقبـة يا دونـا ، حتى إنه لا يخلو مكان منها .

انعقـد حاجبـا دونـا (كارولينـا) ، وهـى تراقـب ما يحدث على شاشاتها ، وتمتمت فى عصبية :

ـ تُرى ما الذى تخطِّط له بالضبط يا (أدهم) ؟!

غمغم (كارلو) فى توتر :

ـ أخبرتك أن الأمر ليس سهلاً يا دونا .

صاحت به فى حدة :

ـ اصمت .

ثم التقطت ميكروفونًا صغيرًا ، وضغطت أحد أزرار أجهزة المراقبة ، وهى تقول عبره فى صرامة متوترة :

ـ حافظوا على السيِّد (أدهم) جيِّدًا ، وانتبهوا إليه بكل حواسكم يا رجال ، فخبرتى تؤكِّد لى أن عقلـه لا يتوقَّف عن التفكير والتخطيط قط .. أطلقوا النـار فورًا ، لو بدا لكم أنه يسعى لعمل شىء ما .. أريد ستة مدافع آلية متحفِّزة ، ومصوبة إلى رأسه طوال الوقت .

ابتسم (أدهم) فى سخرية أكثر ، وهـو يقف أمام المصعد ، الذى بدأت أبوابه تنفتح بالفعل ، وقال :

ـ خطة أنيقة يا دونا ، ولكن مشكلتها أنها تخضع للقاعدة الأساسية ، فى كل خطط الدنيا .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

ـ هناك حتمًا ثغرة ما ، فى مكان ما .

استفزَّتها عبارته ، فقالت فى تحد ، عبر مكبرات الصوت فى الطابق :

ـ أية ثغرة أيها العبقرى ، مع وجود كل هذه المدافع الآليـة ، المصوبـة إليـك مباشـرة ، وتحـت الرقابـة الدائمة ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ هناك أماكن تحتّم تقليص العدد ، وتخلو من وسائل المراقبة بطبيعتها .

ثم دار على كعبيه فجأة ، فى رشاقة مدهشة ، وهوى بلكمة كالقنبلة ، على فك أقرب الرجال إليه ، وهو يثب داخل المصعد ، هاتفًا :

ـ كالمصاعد مثلاً .

وفى نفس اللحظة ، التى تفجّر فيها بركان من الغضب فى أعماقهم ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية كلها ، فى حركة غريزية واحدة ، وانطلقت الرصاصات كالمطر .

أو كالموت .

* * *



٥ ـ صفقة الموت ..

لثلاث دقائق كاملة ، لم ينبس مدير المخابرات المصرية ببنت شفة ، وهو يتطلّع عبر نافذة حجرته ، إلى ساحة مبنى المخابرات ، قبل أن يتنحنح معاونه ، متمتمًا :

ـ سيادة المدير .. هل لى أن ألقى سؤالاً ؟!

استدار إليه المدير فى صمت ، فتابع المعاون فى تردُّد :

ـ لماذا المقدّم (منى) ؟!

تنهّد مدير المخابرات فى عمق ، قبل أن يغمغم :

ـ مصلحة (مصر) يا رجل .

ثمّ اتجه إلى مكتبه ، واستقرّ على مقعده الوثير خلفه ، ليكرّر فى حزم :

ـ مصلحة (مصر) .

لم يغب التساؤل عن عينى المعاون ، فتابع المدير :

ـ أوّلاً ، المقدّم (منى توفيق) واحدة من أكثر ضباطنا كفاءة ، وخبرتها فى العمل مع (ن ـ ١) ، ستساعدها على القيام بمهمتها خير قيام ، وثانيًا ، برقياتنا الشفرية ، التى استخدمنا فيها عمدًا شفرة الكود (ألفا) ، والتى استقبلها الإسرائيليون حتمًا ، تجعلهم واثقين من أننا سنرسل أحد رجالنا ؛ لتحرّى أمر ما حدث فى (روما) ، بشأن أوراقهم السرية ، ولأن احتمال إرسالنا لفتاة منفردة ، لن يخطر ببالهم كثيرًا ، خاصة وأن غرورهم يجعلهم يتصوّرون أن نساءنا لسن بالكفاءة اللازمة ، للتصدّى لرجالهم .

ابتسم المعاون ، وهو يسأل :

ـ وثالثًا ؟!

أجابه المدير ، فى سرعة وحزم :

ـ ثالثًا أن (ن ـ ١) هو سلاحنا السرى ، لخوض الجزء الثانى من المعركة ، وكما سبق أن أخبرتك ، المقدّم (منى) هى أفضل من عمل إلى جواره ، و ...

بتر عبارته بغتة ، فتساءل المعاون فى اهتمام :

ـ أهناك رابعًا ؟!

صمت المدير بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم صارم :

ـ هذا سيتوقّف على تطوّر الأحداث يا رجل .

ثم تراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، مضيفًا :

ـ وعلى المصلحة ... مصلحة (مصر) .

وكان هذا يكفى تمامًا ..

فى الوقت الحالى ..

على الأقل ..

* * *

انطلقت رصاصات رجال دونا (كارولينا) ، فى سرعة وغزارة ، ودون انتظار أوامر زعيمتهم ، نحو (أدهم) مباشرة ..

ربما لأن أوامرها المسبقة ، كانت تنصّ على هذا الإجراء صراحة ..

أو لأنهم يخشونه بشدة فى أعماقهم ، ويدركون جيدًا أن تحركه ، قد يعنى هزيمتهم جميعًا ..

وبشدة ..

وبالنسبة لأمثالهم ، لم يكن هناك سبيل ، لاتقاء ما يمكن أن يفعله بهم ، سوى التخلُّص منه فورًا ، وقبل أن يتطوَّر هجومه لحظة واحدة ..

هذا ما أرادوه ..

وما تمنوه ..

وما حاولوا فعله ..

ولكن خصمهم لم يكن رجلاً عاديًا ..

إنه رجل من طراز خاص ..

خاص جدًا ..

رجل المستحيل !

فعلى الرغم من بغضه الشديد للقتل وإراقة الدماء ، لم يكن أمام (أدهم صبرى) ، فى موقف كهذا ، سوى سبيل واحد ..

لقد انتظر لحظة دخوله إلى المصعد ، الذى يحتم مدخله ألا يحيط به رجال دونا الاثنى عشر ، ثم جذب أحدهم إليه ، وصنع منه درعًا ، تلقَّى عليه رصاصات الآخرين ، وهو ينتزع مدفع الرجل ، ثم يهتف فى صرامة :

أنتم أردتم هذا أيها الأوغاد .

وانطلقت رصاصات مدفعه الآلى تحصد رجال (كارولينا) بلا هوادة ، ليسقط سبعة منهم دفعة واحدة ، وقد تمزَّقت سيقانهم ، وانطلقت صرخات الألم من حلوقهم ، فى نفس اللحظة التى رفع هو



ثم جذب أحدهم إليه ، وصنع منه درعًا ، تلقى عليه رصاصات الآخرين ، وهو ينتزع مدفع الرجل ..

فيها ذلك الرجل ، الذى احتمى بجسده ، والذى تحوّل إلى مصفاة ، من كثرة ما أصابه من رصاصات ، ليثب إلى الأمام ، ويضرب أحد المتبقين بكعب المدفع فى فكه ، هاتفًا :

ـ أرأيت يا عزيزتى دونا !

ثم ركل مدفع رجل ثان ، ودار حول نفسه ليضرب الثالث فى معدته ، ثم يهوى بالمدفع الآلى على رأس الرابع ، مكملاً :

ـ هناك حتمًا ثغرة ما .

انتزعتها عبارته من ذهولها ، فصرخت فى غضب هادر :

ـ الثغرة فى عقلك أنت يا (أدهم) .. ثغرة كبيرة ، سقط فيها أمر زميلتك ، التى ما زالت فى قبضتى ، والتى يمكننى إصدار أمرى بقتلها فورًا .

هتف بها فى سخرية ، وهو يتطلّع إلى آلة المراقبة مباشرة :

- وهل تجرئين على هذا بالفعل يا دونا ؟! هل يمكنك أن تجازفى بخسارة نقطة تفوقك الوحيدة ؟

صرخت :

- إننى مستعدة لفعل أى شىء فى الوجود ؛ لأرى الهزيمة على وجهك .

قال بنفس السخرية ، وهو يرفع فوهة مدفعه ، نحو آلة المراقبة :

- وماذا عن دون (باتشينو) والآخرين ؟! ترى ألديهم الرغبة ذاتها ، بالنسبة لك ؟!

لم يكد تساؤله يكتمل ، حتى انطلقت رصاصاته ، تنسف جهاز المراقبة فى الطابق ، فاختفت الصورة من شاشة مراقبتها ، على نحو جعلها تهتف فى غضب :

- لقد فعلها .

ثم التفتت إلى (كارلو) ، صائحة :

- أبلغ الرجال .. أبلغهم أن (أدهم صبرى) طليق فى المبنى ، وأنه لا ينبغى لهم السماح له بالخروج منه ، مهما كان الثمن .

اندفع نحو جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يهتف :

- وماذا عن فتاة المخابرات المصرية ؟! هل ستأمرين الرجال بقتلها فعلاً ؟!

ترددت لحظة ، قبل أن تقول فى حزم :

- سأفعل ... فى الوقت المناسب .

ألقى (كارلو) أوامرها إلى الرجال ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، فى حين راحت هى تراقب شاشاتها ، بحثًا عن (أدهم) ، حتى عاد (كارلو) إليها ، قائلاً فى انفعال :

- الكل يبحث عنه ، ولكن أين هو ؟! لست أراه على شاشات الرصد والمراقبة .

انعقد حاجباها ، وهى تشعل سيجارتها ، قائلة فى توتر :

- فى بئر المصعد .

سألها فى دهشة :

- وكيف عرفت ؟! ليست لدينا آلات مراقبة ، فى بئر المصعد ..

أجابته فى حزم :

ـ بالضبط .

فهم ما تعنيه على الفور ، وقال فى توتر :

ـ وإلى أين سيذهب هناك ؟!

أجابته ، فى شىء من السخط :

ـ بئر المصعد تقود إلى كل الطوابق ، من الثالث تحت الأرض ، وحتى الثالث والستين هنا .

ومطّت شفتيها ، مضيفة فى حنق :

ـ والأسوأ أنها تقود إلى مداخل بعض فتحات وممرات التهوية الرئيسية .

امتقع وجه (كارلو) ، وهو يتراجع بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ رباه ! هذا يعنى أنه يمكن أن يكون فى أى مكان هنا .

أحنقها ذعره ، فلوّحت بيدها ، قائلة :

ـ إنه لن يتسلّق إلى هنا أيها الأحمق .

هتف :

ـ إلى أين سيذهب إذن ؟!

التقى حاجباها مرة أخرى ، وهى تفكرّ فى عمق ، قائلة :

ـ علينا أن نستنتج هذا ..

وتراجعت فى مقعدها ، مضيفة :

ـ إلى أين ستذهب ، لو أنك (أدهم صبرى) ، فى موقف عسير كهذا ؟!

قلب (كارلو) كفيه ، وهزّ رأسه فى توتر ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى .

لم يبد حتى أنها تسمعه ، وهى تكرّر ، فى تفكير عميق :

ـ إلى أين ؟!

راح عقلها يستعرض كل الاحتمالات ، فى سرعة مدهشة ، قبل أن يتألق ذهنها مع عينيها ، وهى تهتف فى انفعال :

ـ حجرة التحكُم ، فى الطابق الثانى .

لم تكد تنطق عبارتها ، حتى انطفأت فجأة كل شاشات الرصد والمراقبة دفعة واحدة ، فصاحت فى حدة :

ـ ألم أقل لك ؟! لقد أتلف نظام المراقبة كله .

ثم اختطفت ميكروفون الاتصالات الداخلية ، هاتفة فى غضب :

ـ فليكن يا (أدهم) .. لقد أعميت نظام مراقبتنا ، ولكنك ستدفع الثمن غاليًا .. غاليًا جدًا .

واختطفت سماعة هاتف مكتبها الخاص ، مستطردة ، بكل ثورة الدنيا :

ـ ستلقى زميلتك مصرعها .. الآن .

نطقتها ، وأصابعها تطلب الرقم الخاص لقائد مجموعتها ، التى تحرس (جيهان) فى المستشفى ..

ووفقًا لأوامرها المسبقة ، كان مجردُ الاتصال ، ودون توجيه أمر واحد ، أو حتى كلمة واحدة ، يعنى أن الحكم قد صدر على (جيهان) ..

حكم الإعدام ..

فورًا ..

* * *

اندفع رجال حراسة مبنى السفارة الإسرائيلية فى (روما) ، يفتحون الأبواب الخلفية ، لاستقبال سيارة كبيرة ، لم تكد تدلف إلى الحديقة ، حتى أغلق الرجال الأبواب خلفها فى إحكام ، لتواصل طريقها حتى الجهة الخلفية من المبنى ، حيث استقبلها رئيس طاقم الحراسة (دافيد دونهام) ، وهو يشير بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ كفى .

توقفت السيارة ، ليثب منها (شندلر) ، متسائلاً :

ـ هل تم إعداد كل شيء ؟!

أجابه (دونهام) فى اقتضاب صارم ، وهو يشير إلى رجاله :

ـ كل شيء على ما يرام .

ومع إشارته ، أسرع رجاله إلى السيارة ، وحملوا محفة منها ، يرقد عليها جسد (عماد) ، وانطلقوا به عبر باب خلفى خاص ، والطبيب يدفعهم ، هاتفًا :

ـ رويدكم .. رويدكم يا رجال .. الاهتزازات العنيفة يمكن أن تقضى على حياته .

أما (جراهام) ، فقد غادر السيارة فى رصانة ، وهو يسأل (دونهام) :

ـ هل تأكدت من أن أحدًا لم يتبعنا إلى هنا ؟!

أجابه (دونهام) :

ـ بنسبة خمسة وتسعين فى المائة .

زمجر (جراهام) ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ ولماذا ليس مائة فى المائة ؟!

أجابه فى صرامة مماثلة :

ـ لأنه ليس فى عالمنا أمر يمكن حسمه ، بنسبة مائة فى المائة يا أدون (جراهام) .

انعقد حاجبا (جراهام) ، وهو يقول فى غضب :

ـ أسلوبك فى الحديث لا يروق لى يا (دونهام) .

أجابه (دونهام) فى غلظة :

ـ المهم أن يروق لك أسلوبى فى العمل .

قال (جراهام) فى حدة :

ـ سنرى .

رمقه (دونهام) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ يبدو لى أحيانًا أنك تنسى كوننا نحمل رتبة مماثلة يا هذا .

أجابه (جراهام) فى حدة :

ـ بل أنت الذى ينسى أننى ضابط فى (الموساد) ، فى حين أنك مجرّد ضابط أمن .

هتف (دونهام) فى غضب مستنكر :

ـ مجرّد ضابط أمن ؟!

ثم حملت ملامحه قدرًا هائلاً من الصرامة ، وهو يتابع :

ـ سيقوم ضابط الأمن بواجبه ، على أية حال ، ولنر ما الذى سيفعله ضابط (الموساد) .

امتزجت السخرية بالمقطع الأخير من عبارته ، فزمجر (جراهام) ، هاتفًا :

ـ أيها الـ ...

قاطعه (دونهام) فى صرامة قاسية :

ـ إياك أن تنطقها .

ثم أضاف فى سخرية لاذعة :

ـ يا ضابط (الموساد) .

واستدار يدلف خلف رجاله ، إلى القسم الطبى بالسفارة ، تاركًا (جراهام) خلفه يتميزُ غضبًا ، حتى إن (شندلر) تنحنح فى حرج ، وهو يقول بصوت خافت :

ـ معذرة يا أدون (جراهام) ، ولكننى أعتقد أنه من الأفضل أن ندخر صراعاتنا للأعداء .

تمتم (جراهام) ، وهو يكظم غيظه فى صعوبة :

ـ أنت على حق .. سأصبر حتى نحسم هذه العملية ، وبعدها سأسحق هذا الحقير سحقًا .

حاول (شندلر) تغيير الموضوع ، تخفيفًا للتوتر ، فقال فى سرعة :

ـ هل تعتقد أن المصريين سيرسلون أحد رجالهم بالفعل ؟!

أجابه (جراهام) فى مقت :

ـ فى عملية كهذه ، سيرسلون حتمًا أفضل رجالهم .

امتقع وجه (شندلر) ، وهو يقول بصوت مضطرب :

ـ وكأنى بك تشير إلـ ..

قاطعه (جراهام) فى صرامة عصبية :

ـ ومن سواه ؟! أراهنك أنهم سيرسلون (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وعندما نطق الاسم ، كانت كل ذرة فى كيانه ترتجف بكراهية هائلة ..

كراهية ومقت بلا حدود ..

على الإطلاق ..

* * *

لم تكتمل دقات أصابع دونا (كارولينا) ، على أزرار هاتف مكتبها أبدًا .

فعلى الرغم من غضبها وسرعتها ، ضغطت أصابعها ستة أزرار فحسب ، ثم انقطعت حرارة الهاتف بغتة ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخت زعيمة (المافيا) :

ـ لا .. مستحيل ! ..

سألها (كارلو) ، فى توتر بالغ :

ـ ماذا حدث ؟!

صرخت فى ثورة :

ـ لقد قطع كل الاتصالات الهاتفية بالمبنى .

شحب وجه (كارلو) بشدة ، وهو يهتف :

ـ كنت أتوقَّع هذا .. بل كنت أعلم أنه سيحدث .. لقد حذَّرتك يا دونا .. لقد حذَّرتك .

صرخت فيه :

ـ اصمت أيها الجبان .

ثم وثبت من مقعدها إليه ، مستطردة فى عصبية :

ـ هاتفك المحمول .. أعطنى هاتفك المحمول .

ناولها هاتفه ، وهو يقول فى يأس :

ـ لا فائدة يا دونا .. إنه ليس غبيًا ، وما دام قد بلغ حجرة التحكُّم فى الطابق الثانى ، فسيعمل حتمًا

على تشغيل جهاز الذبذبة الفائقة ، الذى أعددناه خصيصًا ، للشوشرة على موجة اتصالات الهواتف المحمولة عند الضرورة .

امتقع وجهها ، وراحت شفتاها ترتجفان انفعالاً ، فى حين ترك (كارلو) جسده يسقط على مقعد قريب ، وهو يواصل فى مرارة :

أنت تعلمين أنه خبير فى مضماره ، ومحترف للغاية ، فى هذا النوع من الصراع ، و ...

صرخت :

ـ اصمت .

كانت غاضبة من كل حرف نطق به ، على الرغم من ثقتها بأنه محق تمامًا ..

(أدهم) ليس بالخصم الهين أبدًا ..

والصراع معه لن ينتهى إلى صالحها على الأرجح ..

حتى لو انتصرت عليه ..

انتشار خبر صراعهما يكفى لزعزعة موقفها ، فى حربها القادمة مع زعماء العائلات ..

وبشدة ..

ولكن كرامتها تمنعها من التراجع الآن ..

تمنعها من الاعتراف بهزيمتها ..

وبانتصاره عليها ..

وفى الوقت نفسه ، لا ينبغى أن تنشغل بقتالها معه ، عن استعداداتها للقتال ، من أجل الحفاظ على مكانتها ..

وفى حركة سريعة ، وضعت هاتف (كارلو) على أذنها ، وضغطت زر الاتصال ، قبل أن تلقيه إليه ، قائلة فى عصبية :

ـ كنت على حق .. لقد أشعل جهاز الشوشرة .

وتراجعت فى مقعدها ، متابعة :

ـ لم يعد بإمكاننا الاتصال بطاقم الحراسة فى المستشفى ، سواء بالهواتف الأرضية ، أو المحمولة ، أو أجهزة اللاسلكى .

غمغم (كارلو) ، فى شبه انهيار :

ـ لقد حذرتك يا دونا .

انعقد حاجباها ، وهى تقول ، وكأنها تحدّث نفسها :

ـ ولكن (أدهم) قالها .. لاتوجد خطة كاملة .. لاتوجد خطة بلا ثغرات .

واعتدلت تشير بسبّابتها ، متابعة فى حماسة مفاجئة :

ـ هناك ثغرة ما فى خطة (أدهم) حتمًا .. ثغرة نشأت من ارتجاله خطة غير مدروسة مسبقًا .. ثغرة لو حصلنا عليها ، سننفذ منها إليه ، ونواجهه بمفاجأة لا يتوقّعها .

أعادت إليه كلماتها شيء من الأمل ، فتساءل (كارلو) فى لهفة :

ـ أية ثغرة هذه ؟!

أمسكت جانبى رأسها بكفيها ، هاتفة :

ـ ابحث عنها معى .. ابحث عن الثغرة ، التى لم ينتبه إليها (أدهم) ، فى خطته للسيطرة على الموقف .. ابحث عنها معى .

استعاد (كارلو) يأسه ، وهو يغمغم :

ـ وهل سيمنحنا هو الوقت للبحث عنها ؟!

صاحت به فى حدة :

ـ ابحث عنها .

هتف بكل مرارته :

ـ حتى شبكة الإنترنت نفسها ، لا يمكنها أن تمنحك جوابًا ، بالسرعة التى تطلبينها منى يا دونا .

التفتت إليه بحركة حادة ، وتألّقت عيناها على نحو عجيب ، وهى تهتف :

ـ أنت عبقرى يا (كارلو) .

هتف بمنتهى الدهشة :

ـ أنا ؟!

هتفت فى حماسة ، وهى تجذب جهاز الكمبيوتر الدفترى النقال :

شبكة الإنترنت فكرة عبقرية ، وثغرة لم ينتبه إليها صديقنا (أدهم صبرى) قط .

سألها فى دهشة :

ـ وماذا عن إتلافه لشبكة الاتصالات ؟!

أجابته فى حماسة جارفة ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر النقال :

ـ الاتصالات هى معجزة هذا القرن الجديد يا (كارلو) .. إننا لم نعد بحاجة إلى أية خطوط هاتفية ، للاتصال بشبكة الإنترنت ، فلدينا هنا نظام اتصال مباشر ، عبر كوابل الألياف الزجاجية ، كما أن جهازى هذا لديه القدرة على الاتصال بالشبكة ، عبر الأقمار الصناعية مباشرة .. هذا هو تطور الاتصالات الجديد(*).

(*) حقيقة .

سألها فى لهفة ، وهو ينهض متجهًا إليها :

ـ هل ستبلغين أوامرك إلى الرجال ، عبر شبكة الإنترنت ؟!

أجابته ، وأصابعها تتقافز على أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكننى سأضع (أدهم) أمام صفقة خاصة ، أمنحه فيها عرضًا لا يمكنه رفضه ، كما كان يقول والدى دومًا ، فى أثناء زعامته للمنظمة .

سألها (كارلو) فى توتر :

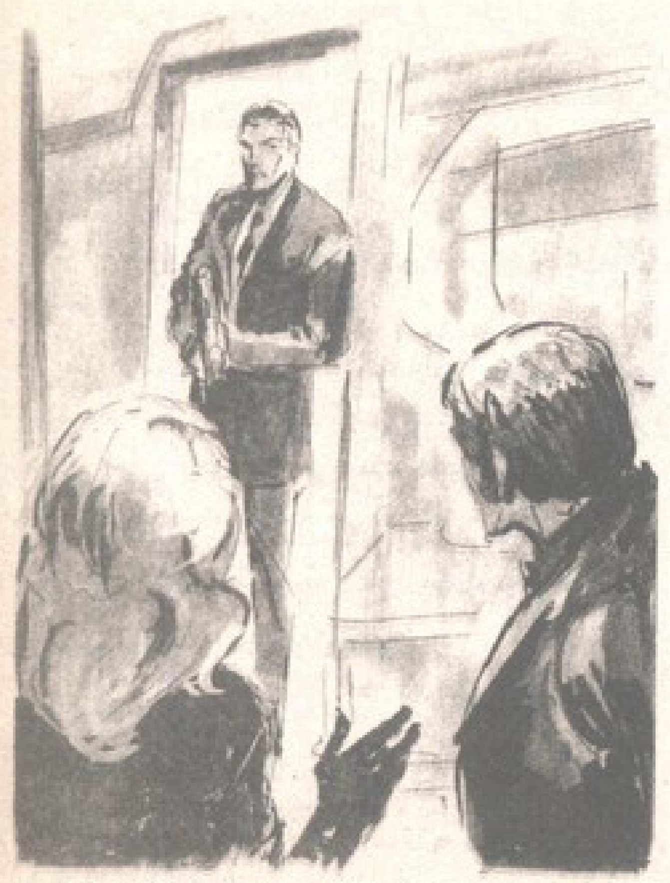
ـ كنت أقصد تلك الأوامر ، الخاصة بقتل زميلته .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة مخيفة ، وهى تقول :

ـ هذا جزء من الصفقة يا عزيزى (كارلو) .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى سمعت صوتًا ساخرًا ، يقول بلغة إيطالية ، تحمل لكنة أهل (صقلية) :

ـ أى نوع من الصفقات يا دونا .


ليرتطم بصرهما بفوهة مدفع آلى ، يصوبه إليهما (أدهم) ، عند المدخل الخلفى لحجرة المكتب ..

انتفض جسد (كارلو) فى عنف ، وهو يستدير مع (كارولينا) إلى مصدر الصوت ، ليرتطم بصراهما بفوهة مدفع آلى ، يصوبه إليهما (أدهم) ، عند المدخل الخلفى لحجرة المكتب ، وهتف (كارلو) فى ارتياع :

- كيف .. كيف ..

قاطعته دونا (كارولينا) ، وهى تقول فى عصبية :

- كنت أعلم أنك ستأتى إلى هنا حتمًا يا (أدهم) .. خبرتى بأساليبك أنبأتنى بهذا .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً فى سخرية :

- عظيم .. هذا يعنى أننا قد أصبحنا متفاهمين تمامًا يا دونا .

قالت فى تحد أدهش (كارلو) :

- إلى حد لا يمكنك أن تتصوره ، يا عزيزى (أدهم) .

أومأ برأسه ، فى تحية ساخرة ، قبل أن يقول :

هذا يعنى أن الصفقة ، التى تتحدثين عنها ، يمكن أن تروق لى بالفعل يا دونا .

تراجعت فى مقعدها ، قائلة :

ـ أعتقد أنك لن تستطيع رفضها يا عزيزى (أدهم) .

امتزج الجزء الأخير من عبارتها بهدير مروحة هليكوبتر ، بدت واضحة من النافذة ، وهى تحوم حول المبنى ، فرفعت هى أحد حاجبيها وخفضته ، وهى تشير بيدها ، قائلة فى صرامة :

ـ وكما ترى .. إننى أستفيد كثيرًا من أخطائى السابقة .

صمت لحظة ، قبل أن يسألها :

ـ وما نوع الصفقة يا دونا .

التقطت نفسًا عميقًا ، قبل ان تجيب فى حزم :

ـ يمكنك أن تقول : إنها صفقة من نوع خاص يا عزيزى (أدهم) .. خاص جدًا ..

وتألقت عيناها ، وهى تضيف :

ـ يمكنك أن تسميها ، صفقة الموت .

لم تكد تنطقها ، حتى انفتحت أبواب مكتبها كلها دفعة واحدة ، فى نفس اللحظة التى هبط فيها خلف (أدهم) حاجز من الصلب ، يحول بينه وبين التراجع ..

وفى تناسق مدهش ، اندفع أكثر من ثلاثين رجلاً من رجال دونا (كارولينا) إلى مكتبها ، وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية كلها نحو (أدهم) ، وكلهم يرتدون ثيابًا سميكة ، من مواد مضادة للرصاصات ، وخوذات من نفس الطراز الصلب ، الذى كان يرتديه رجال زعيم (المافيا) الروسية السابق (إيفان إيفانوفيتش)(*) ، والتى تنافس الدروع القوية ، فى مقاومتها لرصاصات المدافع الآلية ..

وفى ظفر مزهو ، مع لمحة من الشماتة والعبث ، أطلقت دونا (كارولينا) ضحكة عالية مجلجلة ، قبل أن تقول :

(*) راجع قصة (فريق المستحيل) ... المغامرة رقم (١٣٢) .

ـ ألم أقل لك يا عزيزى (أدهم) : إنها صفقة لايمكنك أن ترفضها .. لايمكنك أبدًا .

وعادت ضحكاتها تجلجل ، فى مبناها كله ..

ضحكاتها التى تحمل رنة الظفر ، مع قدر من الشماتة ..

قدر هائل ..

ففى هذه المرة ، لم تكن أمام (أدهم) بالفعل فرصة واحدة للنجاة ..

أية فرصة .

* * *



٦ـ منى ..

التقطت (منى) نفسًا عميقًا من الهواء البارد ، الذى دفع ارتجافة ثلجية إلى أطرافها ، وهى تغادر الطائرة ، القادمة من (باريس) ، فى مطار (روما) ، وبذلت جهدًا حقيقيًا للسيطرة على انفعالها ، وهى تغمغم بالفرنسية :

ـ هيا يا (منى) .. تماسكى .. إنها أول مهمة منفردة لك ، وعليك إثبات أنك قادرة على القيام بها وحدك .

خفق قلبها ، على نحو لم تعهده من قبل ، وعقلها يستعيد ذكريات مغامراتها وعملياتها السابقة مع (أدهم) ، منذ أول مرة تواجه فيها الخطر الحقيقى ، فى عالم المخابرات(*) ..

(*) راجع قصة (الاختطاف الغامض) ... المغامرة رقم (١) .

لقد بدأ عملها معه ..

وتتلمذت على يديه ..

وانبهرت به ..

و ...

وأحبته ..

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، عندما بلغت تلك النقطة من تفكيرها ، فعضت شفتها السفلى فى توتر ، متمتمة :

ـ نعم .. أحبه ..

وشردت ببصرها وأفكارها لحظة ، قبل أن تبتسم ، مكملة :

ـ وسأثبت له أننى جديرة به .

فكرتها الأخيرة بثت فى نفسها ثقة ونشاطًا ، جعلاها تشد قامتها ، وتمسح بيدها على شعرها الأشقر المستعار ، وهى تتجه نحو ضابط الجوازات مباشرة ، وتناوله جواز سفرها الفرنسى ، الذى صنعه (قدرى) بإتقان مدهش ، قائلة بلغة فرنسية سليمة :

ـ بلادكم باردة أكثر مما ينبغى .. يبدو أننى سأختصر إقامتى هنا إلى الحد الأدنى .

ابتسم ضابط الجوازات ، وهو يختم جواز سفرها ، قائلا :

ـ ستعتادين الطقس هنا بسرعة ياسيدتى ، وستدركين عندئذ كم هى جميلة بلادنا .

هزّت كتفيها ، ولوّحت بيدها بحركة أنيقة ، قائلة :

ـ ربما .

ناولها جواز سفرها ، مغمغمًا بابتسامة أكبر :

ـ تأكّدى من هذا يا سيدتى .

غادرت المطار فى خطوات واثقة هادئة ، وهى تدفع أمامها حقيبة واحدة أنيقة ، من طراز شهير باهظ الثمن ، ولم تكد تقف خارجه ، حتى هرع إليها شاب أشقر الشعر ، أزرق العينين ، وهتف بالفرنسية ، على نحو سمعه الجميع فى وضوح :

ـ مدموازيل (برجيت) .. معذرة .. ازدحام الطرقات منعنى من الوصول مبكرًا .

أجابته فى صرامة :

ـ كان ينبغى أن تضع هذا فى اعتبارك .

التقط الحقيبة ، وأسرع بها إلى سيارة فاخرة ، وفتح بابها أمامها ، وهو ينحنى فى احترام بالغ ، قائلاً :

ـ سامحينى يا مدموازيل (برجيت) .. سأنتبه إلى هذا فى المرة القادمة .

استقرت على المقعد الخلفى بأناقة راقية ، وأسرع هو إلى مقعد القيادة ، ولم يكد ينطلق بالسيارة ، حتى اعتدلت فى مقعدها ، وقالت بالعربية :

ـ أنت (أشرف) مندوب مكتب (القاهرة) .. أليس كذلك ؟!

ابتسم قائلاً ، بلهجة مصرية صرفة :

ـ بلى يا سيادة المقدّم .. مرحبًا بك فى (روما) .

هزّت كتفيها ، قائلة :

عبارة التعارف عبقرية بحق ، فقد تبادلناها أمام الجميع ، على نحو بدا طبيعيًا للغاية .

غمغم :

ـ هذا صحيح يا سيادة المقدّم .

سألته فى اهتمام :

ـ هل أحضرت ما طلبته ؟!

ناولها حقيبة صغيرة ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد يا سيادة المقدّم .

التقطت الحقيبة ، وفحصت محتوياتها فى سرعة ، قبل أن تتطلّع إلى المسدس الصغير بينها ، وتبتسم ، قائلة :

ـ إنه الطراز الذى أفضّله .

أومأ برأسه ، قائلاً :

ـ هذا ما أبلغونى به فى (القاهرة) .

سألته ، وهى تدس المسدس فى حقيبتها الصغيرة :

ـ وماذا عن المعلومات ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ ليست لدينا أية معلومات مؤكدة ، بشأن المكان ، الذى يحتفظون فيه بالسيّد (عماد) ، أو بكونه على قيد الحياة من عدمه ، ولكننا نعلم أن رجل (الموساد) ، المسئول عن هذه العملية ، هو (بل جراهام) ، أحد مخططى مذبحة (جونيى) .

انقلبت شفتاها ، وهى تقول فى بغض :

ـ ذلك الحقير .. سيسعدنى أن أجزّ عنقه ، إذا ما حانت اللحظة المناسبة .

قال فى سرعة :

ـ ليس قبل أن نستعيد زميلنا .

أضافت فى حزم :

ـ وصور أوراقهم القذرة .

ألقى نظرة على المرآة الجانبية للسيارة ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

حاولت أن تسترخى فى مقعدها ، وهى تقول فى حماسة :

ـ دعنا نتجه إلى المنزل الآمن مباشرة ، فهذه الثياب بالغة الأناقة تزعجنى بشدة ، وأحتاج إلى أن استبدل بها ثوبا رياضيًا مريحًا ، وإلى مراجعة خطتى ، و ...

قاطعها مغمغمًا فى توتر :

ـ عجبًا !

التقى حاجباها ، وهى تسأله فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

مطّ شفتيه ، وهو يواصل التطلّع إلى مرآة السيارة ، مجيبًا :

ـ لقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة ، لضمان سرية مهمتك ، وعلى الرغم من هذا ، فهناك سيارة تتبعنا ، منذ غادرنا المطار .

سألته ، وهى تعتدل فى مجلسها ، وتلتقط حقيبتها فى سرعة :

- أأنت واثق من أنها تتبعنا ، وليس الأمر مجرَّد مصادفة ؟!

أجابها فى حزم :

- إننى محترف يا سيادة المقدّم .

التقطت مرآة صغيرة من حقيبتها ، وهى تقول :

- كلنا كذلك .

كانت تعلم أنه من الخطأ أن تلتفت خلفها ، عندما تطاردها سيارة ما ، حتى لا يدرك مطاردوها أنها قد كشفت أمرهم ، لذا فقد استعانت بمرآتها الصغيرة ، لتلقى نظرة على السيارة الأخرى ، عبر صورتها المنعكسة ، فى حين انحرف (أشرف) فى طريق جانبى ، فتبعته السيارة دون تردُّد ، مما جعله يتمتم فى توتر ، وهو يتحسَّس المسدس الذى يحمله فى حزامه :

- ليس هناك شك .

انطلق عقلها يعمل فى سرعة ، وهى تدرس الأمر ، بالأسلوب الذى علمها (أدهم) إياه ..

الإسرائيليون كشفوا أمرها بوسيلة ما ..

أو أمر (أشرف) على الأقل ..

وها هم أولاء يتبعونها ..

واللّه (سبحانه وتعالى) وحده أعلم ، ما الذى يسعون إليه بالضبط !!

مجرَّد كشف أمرها ، وتحديد اتجاهها ومكمنها .. أم ..

لم تكمل أفكارها ، وهى تقول فجأة فى حزم :

- انحرف إلى اليمين .

أطاعها (أشرف) وهو يسألها فى قلق :

- إلى أين سنذهب ؟!

أجابته ، وهى تعيد مرآتها الصغيرة إلى حقيبتها ، وتلتقط منها مسدسها ، لتدسه فى جيبها :

- بعد شارعين ، ستجد بيتًا من بيوت الأزياء الشهيرة ، يمتاز بأن له مدخلين ، أحدهما على الشارع الرئيسى ، والثانى يقود إلى شارع خلفى صغير .

قال فى حماسة :

ـ فهمت .

ثم سألها فى اهتمام :

ـ هل أنتظرك فى المنزل الآمن؟!

هزّت رأسها نفيًا فى صرامة ، وهى تجيب :

ـ لا تذهب إليـه على الإطـلاق ؛ فربما يتبعونـك ، ويتوصّلون إليه ، فيفسد كل شىء .

ابتسم فى ثقة ، قائلاً :

ـ سيكون من سوء حظهم أن يفعلوا .

لاحظت ملامحه القوية ، وابتسامته الواثقة ، وتألُّق عينيه ، الذى يحمل كل حماسة وحزم الدنيا ، فغمغمت :

ـ بالتأكيد .

نطقتها فـى نفس اللحظـة ، التـى أوقـف فيهـا السيارة ، أمام بيت الأزياء ، فأضافت فى حزم :

ـ دعهم لا يشعرون أننا قد كشفنا أمرهم .

قال فى هدوء حاسم :

ـ اطمئنى يا سيادة المقدّم .

غـادرت السيارة ، وهى تلوّح بيدها فـى أناقـة ، قائلة بفرنسية سليمة :

ـ انتظرنى .. أحتاج إلى قبعة جديـدة ، واختيارهـا يحتاج إلى بعض الوقت .

أجابها بالفرنسية ، وباحترام بالغ :

ـ بالطبـع يا مدمـوازيل (برجيت) .. خـذى كل ما تحتاجين من الوقت وستجديننى فى انتظارك .

اتجهت فى خطوات هادئة إلى المبنى ، واختفت داخل المكان ، فانعقد حاجبا الإسرائيلى ضخم الجثـة ، فـى السيارة الأخرى ، ودفع زميلته بمرفقه ، قائلاً فى خشونة :

ـ الحقى بها .

مطّت الإسرائيليـة شفتيها الغليظتين ، وهى تغـادر السيارة ، مغمغمة فى سخط :

ـ ولماذا أنا ؟!

أجابها فى خشونة حادة ، وهو يلتقط هاتفه المحمول :

- هل تعتقدين أنهم سيسمحون لى بالدخول خلفها ، إلى قسم ملابس السيدات ؟!

قالت فى سخرية ساخطة :

- ربما .. قد يخطئون تمييز نوعك .

زمجر فى غضب ، فصفقت الباب خلفها فى عنف ، واتجهت نحو باب الأزياء مباشرة ، فى حين ضغط هو أزرار الهاتف فى سرعة ، وانتظر حتى سمع صوت (جراهام) ، فقال بصوته الخشن :

- أدون (جراهام) .. الشقراء القادمة من (باريس) ، توقفت عند بيت الأزياء الشهير ، فى شارع (ليوناردو) .

قال (جراهام) فى توتر :

- ذلك الذى له واجهة زجاجية كبيرة ؟!

غمغم الضخم :

- إنه هو .

هتف (جراهام) فى صرامة :

- إنه مكان ذو مدخلين أيها الغبى .. إنها تحاول خداعكم ، والإفلات من تعقبكم لها .

قال الضخم فى سرعة :

- لقد أرسلت (راشيل) خلفها .

ثم ألقى نظرة سريعة على السيارة الفاخرة ، قبل أن يتابع :

- والسيارة مازالت تنتظرها أمام المبنى .

سأله (جراهام) فى حدة :

- وماذا عن سائقها ؟!

انعقد حاجبا الضخم ، وهو يرتدّ ، وكأنما لم يضع هذا فى حسبانه قط :

- سائقها .

لم يكد ينطقها ، حتى سمع إلى جواره صوتًا هادئًا ، يقول برنة ساخرة :

- هل يسألك عنى ؟!

استدار فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وهو يستلّ مسدسه من غمده ، و ...

ولكن قبضة (أشرف) كانت الأسبق ..

وكالقنبلة ، هوت على فك الضخم ، لتحطّم اثنتين من أسنانه ، وتفجِّر الدماء من بين شفتيه فى عنف ..

ولكنها ، وعلى الرغم من هذا ، لم تُفقده الوعى ..

وفى غضب هادر ، وثورة صنعها الألم ، دفع الضخم باب السيارة ، ليقفز منها ، وينقضّ على (أشرف) ، و ...

ولكن (أشرف) ركل الباب بقدمه ، بكل ما يملك من قوة ، ليضرب به الضخم فى صدره ، ثم أعقبه بثلاث لكمات ساحقة متتالية سريعة ، سحقت أنف

الإسرائيلى ، وحطمت فكه ، وأطارت سنًا ثالثة من بين شفتيه ، اللتين أغرقتهما الدماء ..

وقبل أن يسقط جسد الضخم ، دفعه (أشرف) بيديه داخل السيارة ، ليعيده إلى مقعد قيادتها ، وهو يقول بالعبرية :

- ابق فى مكانك أيها الوغد .

ثم ارتفع صوته ، وهو يضع رأس الضخم على عجلة القيادة ، مستطردًا بصوت مرتفع ، وابتسامة هادئة وردد :

- أسعدنى الحديث معك كثيرًا أيها الزميل .

وفى خطوات هادئة واثقة ، عاد إلى سيارته ، وأدار محركها ، وانطلق بها مبتعدًا ، وهو يتمتم :

- الكرة فى ملعبك الآن ، يا سيادة المقدّم .

فى نفس اللحظة ، كانت (منى) تتحرك فى سرعة وخفة ، داخل متجر الأزياء الفاخر لتشق طريقها إلى الباب الخلفى ، دون أن ينتبه أحد لمناورتها ..

ولأنها محترفة بحق ، فقد أدركت على الفور أن (راشيل) تتبعها فى إصرار ، فغمغمت ، وهى تتظاهر بانتقاء ثوب باهظ الثمن :

- كل خلجة فى وجهك تؤكد أنك إسرائيلية ، من أصل شرقى .. ومن الواضح أنك محترفة إلى حد ما .

ثم التقطت الثوب ، واتجهت به إلى منطقة القياسات ، مكملة :

- ولكن ليس إلى الحد ، الذى بلغته أنا .

دلفت إلى إحدى كبائن القياسات ، وأغلقت بابها خلفها ، ثم أسرعت تنزع الشعر الأشقر المستعار من رأسها ، ونزعت ثوبها الأنيق ، وقلبته على وجهه الآخر ، الذى يختلف عن وجهه الأول ، فى اللون والطراز ، لتعيد ارتداءه ، ثم أخرجت شعرًا مستعارًا آخر ، له لون أحمر نارى ، وارتدته فى دقة ، وتطلعت إلى وجهها فى المرآة الكبيرة ، متمتمة فى سخرية :

- خبراء المخابرات المصرية عباقرة بحق .. حتى أنا ، من العسير أن أتعرف نفسى ، فى هذه الهيئة الجديدة .

وضعت منظارًا شمسيًا كبيرًا على عينيها ، وهى تضيف :

- بقى أن أجد وسيلة مبتكرة للخروج من هنا ، دون أن تدرك تلك الإسرائيلية فى الخارج ما حدث .

استغرقت فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن تبتسم فى سخرية ، قائلة :

- آه .. فكرة رائعة .. ستسبب حتمًا بعض الخسائر لبيت الأزياء ، ولكنها ستخرجنى من هنا بسلام .

ولم تكد تتم كلماتها ، حتى التقطت نفسًا عميقًا ، ملأت به صدرها ، قبل أن تصرخ بكل قوتها ، باللغة الإيطالية :

- حريق .. حريق .. النجدة .

قبل حتى أن تكتمل صرختها ، ترددت صرخات عميلات

بيت الأزياء الشهير ، وهن يعدون فى كل مكان ، بمنتهى الهرج والمرج ، بحثًا عن مهرب من ذلك الحريق الوهمى ..

ووسط الهرج والمرج ، اندفعت (منى) خارج كابينة القياسات ، ولختلطت بالعميلات ، وراحت تعدو بينهن ، وتفتعل صرخات الذعر والفزع ، وهى تشق طريقها إلى المخزن الخلفى ، الذى قادها إلى الباب الصغير ، لتعبره إلى الشارع الجانبى الضيق ، وهى تغمغم :

- لم أتصوَّر أن ينجح الأمر إلى هذا الحد ، أو أن ..

بترت عبارتها دفعة واحدة ، مع صوت إبرة مسدس تنسحب خلفها ، واستدارت بكل سرعتها وانفعالها إلى مصدرها ، ليقع بصرها على (راشيل) ، التى تلهث فى غضب وانفعال ، وهى تصوِّب إليها مسدسًا مزوَّدًا بكاتم للصوت ، وكل لمحة من ملامحها تحمل غضبًا ومقتًا بلا حدود ..

ومع اكتمال استدارة (منى) ، هتفت (راشيل) بالعبرية فى وحشية شرسة :

- اذهبى إلى الجحيم .

وضغطت زناد مسدسها ..

وانطلقت رصاصتها الصامتة ..

والقاتلة ..

* * *

« إننا نواجه مشكلة ...... »

هتف (جراهام) بالعبارة فى عصبية ، وهو يقتحم حجرة مكتب (دونهام) ، الذى رفع عينيه إليه فى بطء صارم ، وهو يقول :

- أية مشكلة ؟!

هتف (جراهام) فى غضب :

- بعضهم هاجم رجالنا ، الذين أرسلناهم خلف تلك المصرية .

رفع (دونهام) سبابته ، قائلاً فى صرامة :

- ليس لدينا ما يثبت أنها مصرية بعد .

حدّق (جراهام) فى وجهه لحظة ، قبل أن يلوّح بيده ، هاتفًا فى غضب :

ـ أهذا كل ما يشغلك ؟!

أجابه (دونهام) ، فى لامبالاة مستفزة :

ـ ألا يشغلك ايضًا ؟!

ضرب (جراهام) سطح المكتب براحتيه ، وهو يهتف ساخطًا :

ـ لا يشغلنى الآن سوى أمر رجالنا .

نهض (دونهام) من خلف مكتبه ، وشدّ قامته ، قائلاً ، بنفس اللامبالاة المستفزة :

ـ اطمئن .

عاد (جراهام) يحدّق فيه بدهشة مستنكرة غاضبة ، قبل أن يسأله فى حدة متوترة :

ـ عجبًا ! ألم تعد تبالى برجالنا ، أم أنك تعرف شيئًا أجهله ؟!

اشتركت ملامح (دونهام) مع صوته ، فى لمحة ساخرة ، وهو يقول :

ـ بل أعرف شيئًا تجهله .

صاح به (جراهام) فى حدة :

ـ أى شىء هذا ؟!

التقط (دونهام) ورقة من فوق مكتبه ، وناوله إياها ، قائلاً :

ـ هذا !

اختطف (جراهام) الورقة فى عصبية ، والتهم محتوياتها ببصره فى سرعة ، قبل أن يقول :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (دونهام) فى سرعة :

ـ إنه تقرير وارد من (نيويورك) ، ومؤيّد بشهادة أحد مصادرنا ، داخل منظمة (المافيا) .

التقى حاجبا (جراهام) فى شدة ، وهو يطالع التقرير مرة ثانية ، قبل أن يلقيه بطول يده ، قائلاً فى حدة :

- هراء .. لايمكننى أن أصدق حرفًا واحدًا من هذا .

هزّ (دونهام) كتفيه ، قائلاً :

- هذا شأنك .

قال (جراهام) فى عصبية :

- إنها ليست المرة الأولى ، التى أقرأ فيها تقريرًا مشابهًا ، وكلها انتهت إلى لا شىء .

عاد (دونهام) يهزّ كتفيه ، ويمط شفتيه ، قائلاً فى هدوء عجيب :

- ربما .

ازداد احتقان وجه (جراهام) ، وهو يحاول أن يقول شيئًا ما ، ثم لم يلبث أن هتف فى حدة :

- ثم إنه لا علاقة بين ما يحويه ذلك التقرير الكاذب ، وما نحن فيه الآن .. أقول لك : إن بعضهم قد هاجم رجالنا .

عقد (دونهام) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :

- أعلم هذا .

هتف به (جراهام) :

- تعلم ؟! وكيف تعلمه أيها الـ ...

قاطعه (دونهام) فى صرامة :

- أعلم فحسب .

ثم استدرك فى حزم :

- ولقد اتخذت كل الإجراءات اللازمة بشأنه .

تطلّع إليه (جراهام) بضع لحظات فى حذر وشك ، قبل أن يسأله :

- هل تعنى أن تلك المصرية لن تنجح فى الفرار منا ، وأننا لن نفقد أثرها فى قلب (روما) ؟!

بدت له ابتسامة (دونهام) غامضة ، وهو يكرر :

- اطمئن .

انقضّ عليه فجأة ، وقبض على سترته فى عنف ، صائحًا :

ـ اسمع يا هذا .. أسلوبك السخيف لا يروق لى أبدًا .. أنا هنا ضابط المخابرات المسئول عن العملية ، وكل ما تعرفه ينبغى أن تخبرنى به فورًا .. هل تفهم ؟!

أجابه (دونهام) فى هدوء عجيب :

ـ أفهم يا ضابط (الموساد) .. أفهم .

وأزاح يديه عن سترته فى برود ، قبل أن يتابع :

ـ والأمر أبسط مما تتصوّر بكثير ، فقد كنتم تتعقبـون سيارة المصرية ، فى حين كان رجالى يتعقبونكم .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ وهذا ما يسمونه بالحماية المزدوجة ، أيها الـ ... المحترف .

صاح فيه (جراهام) :

ـ كان ينبغى أن تخبرنى .

أجابه فى برود :

ـ لقد أخبرتك .

ثم استدار يلتقط التقرير ، الذى ألقاه (جراهام) بعيدًا ، ويعيده إلى سطح مكتبه ، متسائلاً :

ـ والآن ، ما قولك فيما ورد فى التقرير ؟!

لوّح (جراهام) بذراعه كلها فى حدة ، وهو يهتف :

ـ هراء .

نطقها بكل ذرة فى عقله وكيانه ..

هذا لأنه لم يستطع تصديق حرف واحد ، مما ورد فى ذلك التقرير ..

التقرير الذى يؤكّد أن معركة قد دارت داخل مبنى دونا (كارولينا) الرئيسى ، فى قلب (نيويورك) ثم انتهت بخروج جثة هامدة من المبنى ..

جثة ضابط مخابرات مصرى ، يُدعى (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

* * *

٧ـ الدماء ..

لو أنك سألت أى رجل مخابرات فى العالم أجمع ، عمن يمكن أن يحمل لقب الأستاذ ، فى هذا المضمار ، لحصلت حتمًا على جواب واحد ..

(أدهم صبرى) ..

فما من رجل مخابرات ، أو محترف فى هذا المجال ، أو حتى زعيم لأية منظمة جاسوسية خاصة ، يجهل قدراته ومهاراته ، وتاريخه المدهش ، الذى حوى انتصارات مذهلة ، على كل الجبهات ..

وبكل المقاييس ..

ولأنه أستاذ ، بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء ، فمن الطبيعى أن يكون له تلاميذه .

وهناك ، فى ذلك الشارع الضيق ، خلف بيت الأزياء الشهير ، فى قلب العاصمة الإيطالية (روما) ، أثبتت (منى) أنها تلميذة (أدهم صبرى) ..

وتلميذته النجيبة ..

جدًا ..

فعلى الرغم من أن (راشيل) امرأة (موساد) محترفة ، تجيد التصويب إلى درجة مدهشة ، ومن أن المسافة التى تفصلها عن (منى) ، كانت تكفى لإصابة الهدف بمنتهى الدقة ، ومنتهى البساطة أيضًا ، إلا أن رصاصتها لم تصب هدفها على الإطلاق ..

ليس لأنها لم تحسن التصويب ، ولكن لأن الهدف نفسه لم يستقر فى مكانه ..

ففى نفس اللحظة ، التى ضغطت فيها (راشيل) زناد مسدسها ، وثبت (منى) جانبًا ، ثم انقضت بكل قوتها ..

ومرقت رصاصة (راشيل) على قيد سنتيمتر واحد من أذنها ، حتى إنها سمعت أزيزها المخيف ، قبل أن تقبض على معصم الإسرائيلية ، قائلة :

ـ أخطأت أيتها الحقيرة .

تحركت (راشيل) فى سرعة مدهشة ، وجذبت معصمها من يد (منى) ، وهى تعيد تصويب مسدسها ، هاتفة :



ودارت حول نفسها فى رشاقة ، لتركلها فى أنفها ركلة عنيفة ، تراجعت معها الإسرائيلية ، والدماء تغمر وجهها ..

ـ ربما أخطأت المحاولة الأولى .

ثم ضغطت الزناد ، صائحة :

ـ ولكن ماذا عن الثانية ؟!

كان من الممكن أن تصيب رصاصتها الثانية هدفها ، لولا أن وثبت قدم (منى) ، تركل المسدس من يد (راشيل) ، وهى تقول فى سخرية :

ـ ماذا عنها ؟!

زمجرت (راشيل) فى غضب ، وانقضت على (منى) صارخة :

ـ أيتها الـ ..

استقبلتها (منى) بلكمة كالقنبلة فى فكها ، ثم وثبت إلى أعلى ، ودارت حول نفسها فى رشاقة ، لتركلها فى أنفها ركلة عنيفة ، تراجعت معها الإسرائيلية ، والدماء تغمر وجهها ، وارتطمت بالجدار ، ثم ارتدت فى مرونة ، والتمعت عيناها بغضب وحشى ، وهى تمسح الدم عن أنفها ، قائلة بشراسة :

- أخطأت أيتها المصرية .. ألا تعلمين ما يقولونه عن فتيات (الموساد) ؟!

قالت (منى) فى سخرية ، وهى تتخذ وقفة قتالية متحفزة :

- أتقصدين الحقارة والابتذال ؟!

زمجرت (راشيل) ، قائلة :

- بل أقصد ما يقولونه : عن أن رجل (الموساد) يساوى عشرة من رجال مخابراتكم العرب ، وأن فتاة (الموساد) تساوى عشرة من رجال (الموساد)(*) ..

أطلقت (منى) ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

- أتصدقين هذا العبث بالفعل ؟!

وثبت (راشيل) نحوها فجأة ، وهى تصرخ :

- سترين بنفسك .

(*) هذه المقولة ترددها المخابرات الإسرائيلية بالفعل ، وهى جزء من حربها النفسية ، التى تحطمت ، مع أسطورة جيشها الذى لا يُقهر ، على يد المخابرات المصرية ، فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م .

اشتبكت كلتاهما فى قتال عنيف ، داخل ذلك الشارع الضيق ، وراحت اللكمات والركلات تتوالى ، حتى أدركت كل منهما أنها تواجه خصمًا عنيدًا عنيدًا ، فتراجعت (راشيل) بحركة سريعة ، وزمجرت هاتفة :

- إنك تقاتلين على نحو جيّد أيتها المصرية ، ولكنك لن تهزمى (راشيل) أبدًا .

قالت (منى) فى لهجة ساخرة ، على الرغم من أنفاسها اللاهثة :

- آه .. بدأت تنتقلين إلى حرب الكلمات إذن .. يقولون : إن هذا دليل على فشل القتال المباشر .

صاحت (راشيل) :

الكلمات موهبتكم أنتم أيها العرب ، أما نحن ، فندرك معنى القوة الحقيقية .

بدت كلمات (منى) بطيئة ، وكأنما يعوقها سيل من الأفكار ، يهدر فى عقلها ، وهى تقول :

- لو أنك تقصدين تلك الحقارات والقذارات ، التى

تصنعونها مع العزل فى (فلسطين) ، فهذا يعنى أنكم تجهلون تمامًا المعنى الحقيقى للقوة .

اشتعلت عينا (راشيل) بغضب هادر ، وهى تتخذ وقفة قتالية ، قائلة فى شراسة :

ـ القوة هى أن تنتصر ، وليس تتحدث عن المبادئ والقيم .

استرخت (منى) فى وقفتها ، وهى ترصد حركات (راشيل) بمنتهى الدقة ، قائلة :

ـ كلام طبيعى ، عندما يأتى من بين شفتى حقيرة مثلك ، ولكن من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا .

التمعت عينا (راشيل) أكثر ، وهى تهتف :

ـ بالتأكيد .

ثم وثبت نحو (منى) بغتة ، صارخة :

ـ كما سترين الآن ..

كانت هذه الانقضاضة هى بالضبط ما تنتظره (منى) ..

هكذا علمها أستاذها وحبيبها (أدهم) ..

إثارة غضب الخصم ، إلى أقصى حد ، بحيث يفقد قدرته على اتخاذ القرارات المناسبة ، فى نفس الوقت الذى ينبغى أن تتحكم فيه فى أعصابك إلى أقصى حد ..

ثم تنتظر انقضاضته ..

وتضرب ضربتك ..

وهذا ما فعلته (منى) بالضبط ..

فمع انقضاضة (راشيل) ، وفى الوقت المناسب تمامًا ، انخفضت (منى) بحركة سريعة رشيقة ، واعتمدت براحتيها على أرض الطريق ، ثم رفعت قدميها ، لتستقبل بهما معدة الإسرائيلية ، قبل أن تدفعهما جانبًا بكل قوتها ..

وبمنتهى العنف ، ارتطمت (راشيل) بالجدار ، واصطدم به رأسها ، حتى إنها شعرت وكأن مخها قد ارتجّ داخل جمجمتها فى عنف ..

وقبل أن تستعيد توازنها أو تماسكها ، هبّت (منـى) واقفة على قدميها ، وهوت على أنفها بلكمة كالقنبلـة ، ثم أعقبتها بثانية فى أسنانها ، وثالثة فى معدتها .

ـ ثم التقطت ذراعها ، ورفعتها عاليًا ، لتلقـى بهـا أرضًا بمنتهى العنف ..

وشهقت (راشيل) ، فى مزيج من الألم والغضب ، فى نفس اللحظة التى وثبت فيها (منى) ، والتقطت مسدس الإسرائيلية ، ثم دارت حول نفسها ؛ لتصوّبه إليها ، قائلة :

ـ والآن أيتها الحقيرة ، من منا ستضحك أخيرًا .

نهضت (راشيل) فى صعوبة ، وهى تمسك معدتها من فرط الألم ، وقالت فى غضب ومقت :

ـ هل تتصوّرين أنك قد انتصرت ؟!

هزّت (منى) كتفيها ، وهى تقول ساخرة :

ـ ما رأيك أنت ؟!

تألّقت عينا (راشيل) فى وحشية ، وهى تقول :

ـ رأيى أن الستار لم يسدل على المسرحية بعد .

مع آخر حروف كلماتها ، انطلق صرير إطارات سيارة قوية ، توقّفت أمام ذلك الشارع الضيق مباشرة ، قبل أن يثب منها ثلاثة رجال أقوياء ، صوّبوا مدافعهم الآلية نحو (منى) ، و(راشيل) ، تقول فى شماتة ساخرة :

ـ والضحكة الأخيرة لم تنطلق بعد .

قالتها ، وأطلقت ضحكة عالية ..

ضحكة ردّدتها جدران ذلك الشارع الضيق ..

ضحكة ملؤها الشماتة ، والظفر ..

والشر ..

* * *

تنهّد دون (باتشينو) ، زعيم عائلات (المافيا) ، فى (واشنطن) و(فرجينيا) ، وهو يغادر سيارته الفخمة ، أمام قصره المنيف ، وغمغم فى أسف :

ـ سامحنى يادون (كيرليونى) .. أعلم أننا كنا صديقين لبعض الوقت ، ولكن ابنتك تجاوزت حدودها ، ولا بد من إيقافها .

استعاد ذكرياته القديمة فى شوارع (نيويورك) ، مع دون (كيرليونى) ، الأب الروحى الأوَّل لعائلات (المافيا) فى (أمريكا) ، والذى انتقلت الزعامة من بعده إلى أبنائه ، حتى استقرَّت عند دونا (كارولينا) ..

وفى أعماقه شعر بقليل من الأسف والإشفاق ..

وكثير من الغضب ..

كيف يمكن أن تنتزع امرأة منظمة هائلة ، مثل (المافيا) ؟!

كيف ؟!

صحيح أنها تدير المنظمة على خير ما يرام ، منذ تبوَّأت منصبها ، إلا أن هذا لا يصح ..

لا يصح أبدًا ..

التقاليد الصقلية القديمة ترفض هذا ..

وستظلّ ترفضه ..

النساء مكانهن البيت وحده ، ولا ينبغى أن يتدخلن فى شئون العمل ..

ولو كان دون (كيرليونى) نفسه حيًّا ، لأكّد هذا المبدأ تمامًا ..

ولكنه التطوّر ..

التطوّر ، وطبيعة الحياة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ..

الأجيال الإيطالية والصقلية ، التى نشأت على أرضها ، تشبّعت بالنظام الأمريكى حتى النخاع ..

وأمكنها قبول الفكرة ..

فكرة زعامة المرأة ..

ولكن لا ...

لا ينبغى أن يستمر هذا طويلاً ..

توقّف فى بداية الممر ، المؤدّى إلى حجرة مكتبه الكبيرة ، وهتف بخادمه :

أريد قهوتى المفضلة يا (ألبرتو) .

بدا لـه الخـادم شـاحبًا ، علـى نحو غير طبيعى ، وهو يجيبه بصوت مبحوح :

ـ فورًا يا دون (باتشينو) .

مطّ الرجل شفتيه ، عندما ابتعد خادمه مسرعًا لتنفيذ الأمر ، وغمغم :

ـ من الواضح أن (ألبرتو) يحتاج إلى إجازة .. إنه يبذل الكثير من الجهد بالفعل .

غمغم بها ، وهو يدفع باب حجرة مكتبه ، ويدلف إليها ، و ...

« دونا (كارولينا) ؟! »

انطلقت العبارة من بين شفتيه ، مع شهقة دهشة كبيرة ، عندما فوجئ بها داخل مكتبه ، تقف أمام نافذته المفضلة ، وتوليه ظهرها ، وقد عقدت كفيها خلفها فى حزم ..

وفى هدوء لم يرق له أبدًا ، استدارت إليه دونا ، وقالت :

ـ ادخل ، وأغلق الباب خلفك يا دون (باتشينو) .

هتف بدهشة قلقة :

ـ ولكن كيف دخلت إلى هنا ؟! ولماذا لم يخبرنى أحدهم أنك أتيت ؟!

أجابته فى لهجة هادئة ، ولكنها تحمل رنة صارمة أخافته :

ـ لأننى أمرتهم ألا يفعلوا .

قال بصوت مرتجف ، وهو يتحسّس ذلك المسدس ، الذى مازال يصرّ على الاحتفاظ به فى حزامه ، على الرغم من سنوات عمره ، التى تجاوزت الثمانين :

ـ ولماذا أمرتهم ...

قبل أن يتم تساؤله ، التصقت فوهة مسدس باردة بصدغه ، مع صوت (كارلو) الصارم ، وهو يقول :

ـ دونا أمرتك بالدخول ، وإغلاق الباب خلفك أولاً .

ارتجف جسده ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وبدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يهتف :

ـ ولكن لماذا يا دونا ؟! لماذا ؟!

تبعته ببصرها فى صمت ، و(كارلو) يقوده إلى مقعده الكبير ، خلف مكتبه الضخم ، الذى لم يكد يستقر عليه ، حتى قالت دونا (كارولينا) فى صرامة :

ـ اجتماعكم أمس لم يرق لى أبدًا يا دون (باتشينو) خاصة وأنه لم تتم دعوتى إليه .

ارتجف صوته أكثر ، وهو يقول :

ـ كان اجتماعًا عاديًا يا دونا ، ورأينا ألاّ ...

قاطعته بإشارة من يدها ، تحرك (كارلو) على إثرها ، ليضغط أزرار تشغيل جهازى التلفاز والفيديو ، فظهرت على الشاشة صور المجتمعين ، وارتفع صوت دون (باتشينو) فى الشريط المسجّل ، وهو يقول :

ـ لقد تجاوزت دونا كل الحدود ، ولم يعد من المنطق

أن تستمر فى منصبها هذا .. إنها ليست أحقادًا شخصية .. إنه صالح العائلة .

أوقف (كارلو) العرض ، بإشارة أخرى من دونا ، فى حين امتقع وجه دون (باتشينو) فى شدة ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ صدقينى يا دونا .. إننى ..

قاطعته فى صرامة :

ـ صدقنى أنت يا دون (باتشينو) .. إننى أؤمن بنظريتك تمامًا .

وقسا صوتها ، وهى تضيف :

ـ إنها ليست أحقادًا شخصية .. إنه صالح العائلة .

انكمش الرجل على مقعده ، وهو يقول ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ الرحمة يا دونا .. لا يمكنك أن تقتلينى هكذا .. لقد كنت صديقًا لوالدك دون (كيرليونى) .. ولقد .. لقد تجاوزت الثمانين من العمر ..

أشعلت سيجارتها فى هدوء ، ونفثت دخانها فى عمق ، قبل أن تقول :

ـ إنك تثير شفقتى بالفعل يا دون (باتشينو) .

كررّ الرجل فى ضراعة :

ـ الرحمة يا دونا .

تابعت ، وكأنها لم تسمعه :

ـ لقد شاهدت هذا الشريط المسجل مرتين .. فقط أنت ، ودون (بارزينى) ، ودون (كاميللو) ، ودون (ماتياتى) ودون (مارشيلو) وافقتم على فكرة التخلص منى ، بل وتحمستم لها كثيرًا ، أما باقى الدونات ، فقد كانوا حذرين ومتحفظين ، وبعضهم أكدّ أننى أقود المنظمة ، كأفضل ما يكون .

انهار دون (باتشينو) تمامًا ، وهو يقول :

ـ أرجوك يا دونا .. أرجوك .

واصلت بنفس التجاهل ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى استمتاع :

ـ ولقد تذكرت ما فعله شقيقى (مايكل) ، بعد وفاة والدى ، عندما حاول البعض إزاحته عن الطريق ، واحتلال مقعد الزعامة ، باعتبار أنه صغير السن ، ومن غير المستساغ أن يصبح الأب الروحى للمنظمة .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يستعيد ما فعله (مايكل كيرلونى) آنذاك ، عندما وضع خطة للتخلص من كل زعماء العائلات دفعة واحدة ، وهتف :

ـ لا يا دونا .. الرحمة .. إننى ..

ارتفع رنين هاتفها المحمول فى تلك اللحظة ، فأشارت إليه فى صرامة ؛ ليلتزم الصمت ، وهى تجيب الهاتف ، قائلة :

ـ دونا (كارولينا) .

تألقت عيناها على نحو ارتجفت له أطراف دون (باتشينو) ، وهى تستمع إلى محدثها ، قبل أن تقول :

ـ عظيم .. سأضع اللمسة الأخيرة هنا .

أنهت المحادثة ، وهى تلتفت إلى دون (باتشينو) ، الذى سألها فى هلع :

ـ هل .. هل فعلتها يا دونا ؟!

نفثت دخان سيجارتها فى بطء وعمق ، قبل أن تجذب مقعدًا ، وتجلس أمامه مباشرة ، قائلة :

ـ دون (بارزينى) لقى مصرعه .

اتسعت عيناه فى ارتياع مذعور ، فتابعت فى هدوء :

ـ وكذلك دون (كاميللو) ، ودون (ماتيانى) ، ودون (مارشيلّو) .. كلهم لقوا مصرعهم ، خلال الدقائق الخمس عشرة الأخيرة .

دمعت عيناه فى قهر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ خطأ يا دونا .. خطأ .. الأمور لم تعد كسابق عهدها .. رجال المنظمة الحاليين لن يستسلموا أو يخضعوا لك ، كما حدث فى السابق ، أيام شقيقك دون (مايكل) .

ابتسمت فى ثقة ، قائلة :

ـ اطمئن يا دون (باتشينو) .. كلهم سيخضعون .

انتابته موجة غضب مفاجئة ، وهو يهتف :

ـ خطأ يا دونا .. لو أنك تتصوّرين أن الشائعة التى أطلقتها ، حول انضمام رجل المخابرات المصرى الأسطورى ، ستخدع رجال المنظمة ، فأنت واهمة .. لقد علمنا الحقيقة هذا الصباح .. كلنا علمنا أنه قد لقى مصرعه داخل مبناك الرئيسى مساء أمس .

انعقد حاجباها فى شدة ، فتابع فى عصبية ، أقرب إلى الجنون :

ـ نحن أيضًا لنا مصادرنا يا دونا .. نحن أيضًا نعلم ما يدور فى أروقتك .

قالها ، وانطلق يضحك على نحو عجيب ، وكأنما أصابه الرعب بمسّ من الجنون ، فالتفت (كارلو) إلى دونا ، متسائلاً :

ـ دونا .. هل تعلمين ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته فى صرامة :

- نعم يا (كارلو) .. هناك تسريب فى خزانة معلوماتنا .

ونفثت دخان سيجارتها ، مكملة :

- لقد تأكدنا من هذا الآن .

وافقها بإيماءة من رأسه ، ثم أشار إلى دون (باتشينو) ، قائلاً :

- ماذا عنه ؟!

تراجعت فى مقعدها ، وهى تقول فى صرامة :

- القرار تم اتخاذه بالفعل يا (كارلو) .

تساءل فى تردد :

- أعنى بعد ما أصاب عقله .

نهضت من مقعدها ، قائلة فى حزم :

- لن يصنع هذا فارقًا .

ثم اتجهت نحو الباب ، وهى تلقى سيجارتها ، فى ركن حجرة المكتب ، مستطردة بلهجة ملؤها القسوة والصرامة :

- لا أحقاد شخصية .. إنه صالح العائلة فحسب .

صوّب (كارلو) فوهة مسدسه إلى جبهة دون (باتشينو) ، وهو يقول :

- بالطبع يا دونا .. بالطبع .

وغادرت هى حجرة المكتب ، فى نفس اللحظة ارتفعت فيها ضحكة دون (باتشينو) الجنونية ، وهو يصرخ :

- لن يفلح هذا يا دونا .. لن يفلح .

ثم دوى صوت الرصاصة ..

وسكت صوت دون (باتشينو) ..

إلى الأبد ..

* * *

« تُرى ماذا يفعل (أدهم) ، فى موقف كهذا ؟! »

تردَّد السؤال فى ذهن (منى) ، وهى تقف فى ذلك الشارع الخلفى الضيق ، ممسكة بمسدس (راشيل) ، التى نهضت فى شماتة ظافرة ، ومسحت الدماء التى غمرت وجهها ، وهى تشير إلى الرجال الثلاثة ضخام الجثة ، وإلى مدافعهم الآلية ، المصوبة إلى (منى) ، قائلة :

ـ لم تتوقَّعى هذا .. أليس كذلك ؟!

قالت (منى) فى صرامة ، دون أن تخفض مسدسها :

ـ أمور كثيرة لا يتوقَّعها المرء ، فى عالمنا هذا .

اتجهت (راشيل) نحوها فى ثقة ، وهى تقول :

ـ عجبًا ! أين ذهبت روحك الساخرة ؟!

تحركت (منى) نحو باب بيت الأزياء الخلفى فى حذر ، وهى تقول :

ـ تنتظر اللحظة المناسبة .

نقلت (راشيل) بصرها بين (منى) ، والباب الخلفى ، قبل أن تندفع نحو الباب ، هاتفة :

ـ هل تصوَّرت أن خدعة سخيفة كهذه ، يمكن أن تنطلى علينا .

استعادت (منى) ابتسامتها الساخرة :

ـ لو أنك تقصدين الفرار عبر الباب الخلفى ، فهذه لم تكن خطتى فى الواقع ؛ فأنا أعلم أن رصاصات المدافع الآلية ستسبق قفزتى إليه .. خطتى الفعلية كانت ..

ثم أطلقت النار نحو أحد حملة المدافع الآلية الثلاثة بغتة ، وهى تكمل هاتفة :

ـ دفعك إلى اتخاذ هذا الموقع .

اشتعلت عينا (راشيل) غضبًا ، عندما أدركت فجأة خطة (منى) الحقيقية ..

لقد تظاهرت بالاتجاه نحو الباب الخلفى ، حتى تندفع (راشيل) ، لتحول بينها وبينه ، ولتتخذ فى

اندفاعها هذا ، ودون أن تدرى ، موقعًا يحول بين (منى) ، ورصاصات الرجال الثلاثة ، الذين أصابت أحدهم رصاصة (منى) بالفعل ، فسقط مطلقًا صرخة ألم عالية ..

أما الآخران ، فقد منعهما تواجد زميلتهما (راشيل) ، فى موقعها هذا ، من تبادل إطلاق النار مع (منى) ، فتراجعا ليحتميا بسيارتهما فى سرعة ، فى حين صاحت الإسرائيلية بمنتهى الغضب ، وهى تثب نحو بطلتنا :

ـ أيتها الـ ....

استقبلتها (منى) بوثبة جانبية سريعة ، وهى تهوى على وجهها بمسدسها ، هاتفة :

ـ كنت على حق أيتها الحقيرة .

وقبل أن تسقط (راشيل) أرضًا ، وثبت (منى) إلى ظهرها ، ومنه بقفزة مدهشة إلى باب بيت الأزياء الخلفى ، مكملة :

ـ فالضحكة الأخيرة لم تنطلق بعد .

صرخت (راشيل) بغضب هادر ، مع الجرح الذى مزق جانب وجهها ، وصاحت فى حاملى المدفعين الآليين :

ـ أريدها حية .. أريدها حية بأى ثمن .

انفصل الرجلان عن بعضهما ، بحركة سريعة ، تشفّ عن حسن تدريبهما وتنسيقهما ، وأخفى كلاهما مدفعه الآلى داخل معطفه ، وهما يحاصران بيت الأزياء من جانبيه ، فى حين هبّت (راشيل) واقفة ، وتركت الدماء تسيل من جرح خدها ، وهى تندفع خلف (منى) ، من الباب الخلفى ، قائلة بكل غضب ومقت الدنيا :

ـ ستدفعين الثمن أيتها المصرية ... ستدفعين ثمن ما فعلته بوجهى .

لم تكن (منى) بحاجة لسماع هذه العبارة ، لتدرك أن (راشيل) وزميليها لن يتركوها حية ، بعد ما فعلته بهم ..

ولن يغفروا لها إصابة زميلهم أبدًا ..

لذا ، فقد تحركت داخل بيت الأزياء بأقصى سرعة ، وسط العاملين ، الذين أصابتهم الدهشة مما يحدث ، وامتزجت دهشتهم بالذعر ، مع مرأى المسدس ، الذى مازالت تمسكه (منى) ، حتى إن صاحبة المكان صرخت :

- إنذار كاذب بحريق ، ثم مطاردة بالأسلحة النارية !! يا إلهى ! فليبلغ أحدكم الشرطة فورًا .

وثبت (منى) إلى سلم المكان ، الذى يقود إلى الطابق الثانى ، الذى يخلو من الزبائن والعملاء تمامًا ، بعد إنذار الحريق الكاذب ، وما إن بلغته ، حتى سمعت (راشيل) تهتف من خلفها :

- لن تنجحى فى الفرار أبدًا .

ومع هتافها ، اندفع زميلاها المسلحان إلى المكان ، وانطلقت صرخات الرعب من العاملين ، عندما أخرجا مدفعيهما الآليين ، و(راشيل) تهتف بهما :

- إنها فى الطابق الثانى .. الحقا بها .. أسرعا .

تلفتت (منى) حولها ، بحثًا عن مخرج من المكان ، فى نفس الوقت الذى تعالى فيه وقع أقدام الرجلين ، وهما يعدوان فى درجات السلم خلفها ، و(راشيل) فى الطابق الأول ، تلوّح بقبضتها ، صارخة :

- أريدها حية .. لابد أن أمزّقها إربًا بيدى .

لم تكد (منى) تسمعها ، حتى هتفت :

- أشكرك أيتها الحقيرة ... لقد أمنت ظهرى جيدًا ، بأمرك هذا . -

شعرت (راشيل) بالغيظ ، عندما نبهتها (منى) إلى خطئها ، فصرخت بكل انفعالها :

- اقتلوها .. لا أريدها حية .. أقتلوها فور تمكنكم منها .

مع صرختها ، بلغ الرجلان الطابق الثانى ، وارتفعت فوهتا مدفعيهما الآليين نحو (منى) ، التى هتفت :

- فى هذه الحالة يختلف الأمر .

قالتها ، ووثبت جانبًا ، وتدحرجت بحركة مرنـة ، متفادية رصـاصـات المدفعين الآليين ، التى انطلقت فوق رأسها ، قبل أن تطلق رصاصة مسدسها ، دون أن تتوقّف عن الحركـة ، وتصيب أحد الرجلين فـى ساقيه ..

وسقط الرجل على ركبتيـه ، وهو يطلق صرخـة ألم ، ولكنه لم يوقف إطلاق النـار من مدفعه الآلـى ، فى حين تراجع زميله فى سرعة ، وهو يطلق النـار بغزارة أكبر ، و(راشيل) تعدو عبر درجات السلم ، إلى الطابق الثانى ، صارخة :

ـ اقتلاها .. اقتلاها فورًا .

انبطحت (منـى) أرضًا ، وأخفت جسـدها خلـف لوحة عـرض معدنيـة ، والرصاصـات تنطلق نحوهـا كالمطـر ، وجذبت خزانة رصاصات مسدس (راشيل) ،

وألقت نظرة على الرصاصة الأخيرة داخلهـا ، قبل أن تغمغم :

ـ أراهـن على أن هـذه الحقيـرة تحصى كل رصاصـة تنطلق .

قالتها ، ثم اعتدلت ، وهتفت بصوت مرتفع :

ـ فليكن .. إننى أستسلم .

وأعقبت هتافها بإلقاء مسدس (راشيل) بقـوة ، ليسقط عند قدمى هذه الأخيرة ، التـى حدّقت فيـه ، قائلة :

ـ ياللغبية !

ثم أشارت للرجلين ، السليم والمصاب ، بالاستعداد لإطـلاق النـار علـى (منـى) فـور ظهورهـا ، وهـى تلتقط مسدسها ، هاتفة :

ـ لو أننى لم أخطئ العد ، فمسدسى مازال يحـوى رصاصتين إحداهما فى خزانته ، والثانية فى ماسورته .

هتفت (منى) من مكمنها :

ـ كنت واثقة من أنك تحصينها .

التمعت عينا (راشيل) فى مقت ، وهى تفحص مسدسها ، وتتأكد من أمره ، ثم أشارت إلى زميلها السليم ، ليدور معها فى خفة ، حول المكان الذى تختفى خلفه (منى) ، وهى تقول :

ـ حسنًا .. استسلمى الآن .

هتفت (منى) من مكمنها :

ـ هل ستطلقين علىّ النار ؟!

قالت (راشيل) فى قسوة :

ـ أنت أعدت إلىّ مسدسى .

هتفت (منى) :

ـ لم أعد بحاجة إليه .

توقفت (راشيل) ، وأشارت إلى زميلها بالتوقف ، وهى تتساءل فى حذر قلق :

ـ ولماذا ؟!

هبت (منى) من مكانها ، هاتفة فى سخرية :

ـ لدى مسدسى الخاص .

ومع قولها ، ضغطت زناد مسدسها ، لتنطلق رصاصاته نحو السلسلة ، التى تحمل مصباحًا ضخمًا فى سقف الطابق الثانى ..

ومع رصاصاتها ، تحطمت السلسلة ..

وهوت ..

هوت على رأس الرجل السليم مباشرة ..

وفى نفس اللحظة ، التى تحطم فيها المصباح الثقيل ، على رأس الرجل ، قفزت (راشيل) مبتعدة

عن شظاياه ، فوثبت (منى) من مكمنها كالنمرة ، وانقضت عليها فى عنف ..

وقبل حتى أن تستوعب (راشيل) الموقف ، كانت (منى) تهوى على فكها بلكمة كالقنبلة ثم تسقط معها أرضًا ، وهى تضرب مسدسها بعيدًا ..

ومع فقد (راشيل) لسلاحها ، ألصقت (منى) فوهة مسدسها بصدغها ، قائلة فى سخرية :

ـ والآن ما رأيك بشأن الضحكة الأخيرة ، أيتها الحقيرة ؟!

تألقت عينا (راشيل) فى وحشية ، وهى تقول :

ـ ما رأيك أنت ؟!

انتبهت (منى) فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنها قد نسيت عاملاً مهمًا للغاية ..

الرجل المصاب فى ساقه ..

فعلى مسافة متر واحد منها ، كان ذلك الرجل جاثمًا على ركبتيه ، يصوِّب إليها مدفعه الآلى ، فى تحفُّز شرس ، وسبَّابته تضغط زناد المدفع ، و...

ودوت الرصاصة ..

وتفجَّرت الدماء ..

بعنف .

* * *

٨ـ المحترف ..

انعقد حاجبا رجل المخابرات الإسرائيلى (شيمون دوريل) فى شدة ، وهو يراجع التقرير الوارد من (نيويورك) ، قبل أن يمطّ شفتيه ، ويلقيه على مكتب رئيسه ، قائلاً فى حزم :

ـ نحتاج إلى دليل حاسم .

تراجع رئيسه فى مقعده ، متسائلاً :

ـ مثل ماذا ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ جثته .. جثة (أدهم صبرى) .

ارتفع حاجبا رئيسه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ هل تعتقد أن هذا ممكن ؟! مصدرنا داخل (المافيا) يؤكدّ أن (أدهم صبرى) قد لقى مصرعه ، فى الطابق

الثالث والستين ، من المبنى الرئيسى لدونا (كارولينا) ، برصاصات رجالها ، الذين حاصروه هناك ، وأن دونا قد عملت على التخلّص من جثته فورًا ، وهناك ما يوحى بأنها قد أذابت الجثة فى بعض الأحماض القوية ، لمحو أى أثر لها .

هزّ (شيمون) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ، لا يمكننى تصديق خبر موته أبدًا .

تطلّع إليه رئيسه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى ضيق :

ـ لست أدرى أى أثر نفسى ، تركه رجل المخابرات المصرى هذا ، فى أعماقكم جميعًا ، ولكن ينبغى أن تدركوا فى النهاية أنه مجرّد بشر ، يمكن أن يلقى مصرعه ، عندما تحين ساعته .

مال (شيمون) نحوه ، قائلاً فى صرامة :

ـ ولست أدرى أنا كيف نسيت تاريخه القديم ، فهو

أيضًا مخادع كبير ، أعلنت عدة جهات مصرعه أكثر من مرة ، ثم ثبت بعدها أنها كلها مخطئة ، وإلا لما كان تقرير مصرعه أمامنا الآن ، نجادل فى صحته من عدمها .

تنهّد رئيسه ، ولوّح بكفه ، قائلاً :

- وما الوسيلة لإثبات هذا ؟!

مطّ (شيمون) شفتيه ، مغمغمًا فى حنق :

- لا توجد أية وسيلة .

ثم أشار بسبّابته ، مكملاً ، بعد لحظة من الصمت :

- إلا بعودته إلى الظهور .

ارتفع حاجبا رئيسه بدهشة مرة أخرى ، ثم سأله فى اهتمام :

- هل تعتقد أنه سيظهر مرة أخرى .. أعنى لو لم يكن قد لقى مصرعه بالفعل !!

أجابه (شيمون) فى سرعة وحزم :

- بالتأكيد .

وراح يتحرك فى الحجرة ، وهو يتابع ، وملامحه تشف عن التفكير العميق :

- إنه ضابط مخابرات محترف مثلنا ، ولا يمكن أن يقف ساكنًا ، إذا ما واجهت بلاده خطرًا ما ، أو احتاجت إليه فى عملية ما .

ثم توقّف فجأة ، وشرد بصره ، مع استطرادته الصارمة :

- مثل هذه العملية .

مال رئيسه إلى الأمام ، وهو يسأله :

- أية عملية تقصد ؟!

أشار (شيمون) بسبّابته ، قائلاً :

- عملية (روما) بالتأكيد .

واستدار إلى رئيسه بحركة حادة ، مستطردًا فى انفعال :

- عملية الأوراق السرية .

تألّقت عينا رئيسه ، وهو يهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ هل تعتقد أن (أدهم صبرى) سيظهر ، فى هذه العملية ؟!

ثم استدرك ، متراجعًا فى سرعة :

ـ أعنى لو أنه على قيد الحياة .

أجابه (شيمون) بمنتهى الحزم :

ـ مادامت الصور الرقمية لأوراقنا مازالت مفقودة ، ومادام وقوعها فى أيدى المصريين يعنى الكثير ، بالنسبة لعلاقاتهم بالولايات المتحدة الأمريكية ، وبالنسبة لكشف لعبتنا ، أمام العالم كله ، فلا يوجد أفضل منه للبحث عنها .

وصمت لحظة ، قل أن يضيف :

ـ لو أنه على قيد الحياة .

غاص رئيسه فى مقعده ، وهو يشبك كفيه أمام وجهه ، ويفكر فى عمق وتركيز ، ثم لم يلبث أن قال فى بطء :

ـ من الضرورى أن نبلغ (بل جراهام) ، المسئول عن عملية (روما) ، بهذا الاحتمال الجديد .

أشار (موشى) بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ لو أن هذا الاحتمال صحيح ، وهذا ما أرجّحه ، فلن يصلح (جراهام) لمثل هذه العملية .. إنه متهوّر ، عصبى ، سريع الانفعال ، وكلها صفات لاتصلح لمواجهة أسطورة ، مثل (أدهم صبرى) .

وعلى الرغم من أن رئيسه كان يعرف الجواب مسبقًا ، إلا أنه سأله فى اهتمام :

ـ من ترشح لهذه العملية إذن ؟!

التقط (موشى) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب بمنتهى الحزم والحسم :

ـ أنا .

وتراجع رئيسه فى مقعده ببطء ، وهو يتطلّع إليه فى اهتمام ..

فبانتقال عملية (روما) ، من (جراهام) إلى (موشى) ، سيبدأ فصل جديد من المواجهة ..

فصل تصل فيه الأحداث ، إلى ما لم تصل إليه من قبل ..

إلى الذروة ..

* * *

من المؤكد أن ذلك الرجل المصاب ، كان يحمل فى أعماقه قدرًا هائلاً من الغضب والكراهية ، وهو يصوب مدفعه الآلى إلى رأس (منى) ، ويضغط الزناد ..

ولأنه محترف فى مجاله ، والمسافة التى تفصله عن (منى) لا تزيد على المتر الواحد ، ولأن (راشيل) أمسكت بها فى قوة ، حتى لا تفرّ من مرمى النيران ، كان من الطبيعى ، ومن المنطقى جدًا ، أن تصيب رصاصته هدفها ..

وأن تنسف رأس (منى) ..

بلا رحمة ..

ولكن ...

وآه من كلمة (لكن) هذه ..

إنها كلمة استدراكية ، تأتى دومًا بعد جملة كاملة ، لتغيّر مسارها تمامًا ، وتضع استثناءً لكل قاعدة صحيحة ..

وهذا ما فعلته ..

لقد كان كل شىء يحتم إصابة (منى) ، ولكن عاملاً خارجيًا قلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

فجأة ، ودون سابق إنذار ، اقتحمت سيارة أنيقة بيت الأزياء الراقى ، فى قلب (روما) ..

ومع ذلك الاقتحام المفاجئ ، انطلقت الصرخات المذعورة ، من كل العاملين فى المكان ..

وقبل حتى أن تكتمل صرخاتهم ، كان (أشرف) يثب خارج السيارة ، ويدور حول نفسه فى سرعة ، لدراسة الموقف كله ..

وفى الطابق الثانى ، وعبر الحاجز الزجاجى الشفاف ، رأى الرجل المصاب ما حدث ..

واستدار بمدفعه الآلى ؛ ليطلق النار على هـذا القادم الجديد ..

ولمحه (أشرف) فى الوقت ذاته ..

وبسرعة ، ومرونة ، وحزم ، قفز (أشـرف) إلى الأمام .. وأطلق رصاصته ..

ومع دوى رصاصته ، تحطَّم الحاجز الزجاجى ، لشرفة الطـابق الثـانى ، وتفجَّرت الدمـاء من جبهـة الإسرائيلى المصاب ، واتسعت عيناه عن آخرهمـا ، قبل أن يسقط على وجهه جثة هامدة ..

وبصرخة غاضبة عالية ، رفعت (راشيل) ركبتها ، لتضرب (منى) فى معدتها ، صائحة :

ـ لا .. ليس ثانية .

وعلى الرغم من الآلام التى شعرت بها (منى) فى معدتها ، إلا أنها تماسكت ، واستنفرت كل إرادتها ، وهوت بمسدسها على وجه (راشيل) ، هاتفة :

ـ ولِمَ لا ؟!

صرخت (راشيل) مرة أخرى ، مع تمزُّق جزء جديد من وجههـا ، وحاولت أن توجِّه لكمـة بيسراها إلى (منى) ، صائحة :

ـ لن تنتصرى أبدًا .

صدَّت (منى) ضربتها بساعدها ، ثم هوت على فكها بلكمة كالقنبلة ، وهى تقول فى صرامة :

ـ كفى .

كـانت اللكمـة مـن العنـف ، حتـى إن مؤخـرة رأس (راشيل) ارتطمت بأرضية الطابق فى قوة ، شعرت معهـا أن عينيهـا تدوران فـى محجريهمـا ، قبـل أن تلكمها (منى) لكمة أكثر قوة ، وهى تكمل :

ـ لقد سئمت قتالك هذا .

ومع اللكمة الثانية ، أظلمت الدنيا تمامًـا ، لتهوى (راشيل) فى غيبوبة عميقة ، فى نفس اللحظة التـى توقَّفت فيهـا سيارات الشرطـة الإيطـالية ، أمـام بيت

الأزياء ، واندفع فيها (أشرف) ، يعدو فى درجات السلم ، نحو الطابق الثانى ، هاتفًا :

ـ أسرعى .

انطلقت تعدو خلفه بتلقائية ، وهى تهتف :

ـ كيف وصلت فى الوقت المناسب ، على هذا النحو ؟!

أجابها ، وهو يضغط زر المصعد الداخلى لبيت الأزياء ، المكوّن من خمسة طوابق كاملة :

ـ هذا توفيق من اللّه (سبحانه وتعالى) .. لقد انتابنى هاجس بأنهم ربما أرسلوا فريقًا آخر ، لم ننتبه إليه ، وخشيت أن أتجه إلى المنزل الآمن مباشرة ، فينكشف أمره .

همّت بالاندفاع داخل المصعد ، الذى انفتحت أبوابه ، إلا أنه استوقفها فى حزم ، ومال يضغط زر الطابق الخامس ، قبل أن يتراجع فى سرعة ، ثم يجذبها إلى حجرة مجاورة للمصعد ، فلهثت فى انفعال ، وهى تقول :

ـ خدعة عبقرية .. سيتصوّرون أننا داخل المصعد .



ثم يجذبها إلى حجرة مجاورة للمصعد ، فلهثت فى انفعال ، وهى تقول :
ـ خدعة عبقرية !!..

ابتسم مغمغمًا :

ـ بالطبع .

تناهى إلى مسامعهما وقع أقدام ، رجال الشرطة ، وهم يصعدون فى درجات السلم ، وخلفهم صوت صاحبة المكان ، تصرخ :

ـ لقد حطموا المكان .. لقد أفسدوا كل شىء ..

ثم شهقت ، مستطردة :

ـ إنهم فى المصعد .

ارتفع بعدها صوت قائد فريق الشرطة ، وهو يصيح برجاله :

ـ حاصروا كل الطوابق ، وامنعوهم من الفرار بأى ثمن .

همست (منى) فى توتر :

ـ لابد أن نجد مخرجًا من هنا ، فسيكشفون الحقيقة خلال دقائق قليلة .

التفت إليها ، يسألها فى اهتمام :

ـ ماذا تقترحين ؟!

لم يكد السؤال يعبر أذنيها ، حتى ترجمه عقلها إلى صيغة مختلفة تمامًا . ماذا سيفعل (أدهم) ، لو أنه فى موضعها ؟!

أى فعل سيتخذه أستاذها ، فى موقف مماثل ؟!

رفعت عينيها إلى فتحة التهوية أعلى الحائط ..

ولكنها كانت أصغر مما ينبغى ..

ولم يكن هناك مخرج آخر للحجرة ..

لا أبواب ، أو نوافذ ..

أو حتى قطعة أثاث ضخمة ، يمكن الاختفاء خلفها ..

كانت مجرَّد مخزن لأدوات النظافة ..

مخزن يحوى الأدوات الخاصة بالتنظيف ، والمماسح القماشية ، وبعض كيماويات التنظيف ، و ...

التمعت عيناها بغتة ، وهى تلتفت إلى (أشرف) ، متسائلة :

ـ قل لى : هل كنت متفوقًا فى مادة الكيمياء فى شبابك ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا فى حذر :

ـ ليس إلى الحد الكافى .

ابتسمت ، قائلة :

ـ لن يمكنك أن تتصوّر ، كم خسرت بهذا .

انعقد حاجباه ، وهو يتطلّع إليها ، وقد بدت له ابتسامتها غامضة .. غامضة للغاية ..

وفى الخارج ، كان رجال الشرطة الإيطالية قد انتشروا فى المكان ، وصاحبته مازالت تولول ، هاتفة :

ـ كل شىء تحطمّ .. هذه الواجهة الزجاجية ، التى حطمتها سيارتهم ، كلفتنى ثروة .

سألها قائد فريق الشرطة ، وهو يتابع ببصره تحركات رجاله :

ـ أليس لديك تأمين شامل ؟!

هتفت :

ـ بالطبع ، ولكن ماذا عن الأثواب التالفة ؟! إنها تساوى ثروة ، ورجال التأمين لا يعترفون إلا بقيمتها المباشرة فحسب ، أما تصميماتى العبقرية ، فلا قيمة لها عندهم .

انعقد حاجبا قائد فريق الشرطة ، وهو يقول فى ضجر :

ـ كل شىء يمكن تعويضه يا سيدتى .. كل شىء .

هتف أحد رجاله ، من الطابق الخامس للمتجر ، فى تلك اللحظة :

ـ المصعد خال ... لا أحد داخله .

التمعت عينا قائد فريق الشرطة فى غضب ، وهو يهتف :

ـ إذن فهى خدعة .

ثم سحب مسدسه ، وهو يتلفت حوله ، مستطردًا :

ـ إنهم هنا .

ثم ارتفع صوته ، وهو يصيح برجاله :

ـ إنهم يختفون فى مكان ما هنا ، فى الطابق الثانى .

تراجعت صاحبة بيت الأزياء فى ذعر ، وهى تهتف :

ـ هنا ؟!

مع هتافها ، اندفعت (منى) مع (أشرف) فجأة ، خارج مخزن أدوات النظافة ، فصاح أحد رجال الشرطة ، وهو يصوب سلاحه إليهم :

ـ ها هما ذان .

قبل حتى أن تكتمل صيحته ألقت (منى) زجاجة صغيرة نحوه ، فى نفس اللحظة التى ألقى فيها (أشرف) زجاجة ثانية ، نحو قائد فريق الشرطة ، والمحيطين به ..

ومع تحطم الزجاجتين ، تفجرت سحب كثيفة من دخان أبيض ..

وصرخت صاحبة المكان فى رعب ، وسعل قائد فريق الشرطة ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ أوقفوهما .

مع هتافه ، تفجرت زجاجتان أخريان ، وامتلأ المكان كله بالأدخنة البيضاء الكثيفة ، ودوت رصاصة مجهولة المصدر ، فصرخ الرجل فى رجاله ، وعيناه تلتهبان بشدة :

لا تطلقوا النار .. قد يصيب بعضنا البعض الآخر ... توقفوا .

كان (أشرف) و(منى) يعرفان هدفهما جيدًا ، وهما يخترقان الصفوف ، نحو السلم مباشرة ، وقد كتم كلاهما أنفاسه ، وأغلق عينيه ، حتى لا يتأثر بالدخان الكثيف ، الذى صنعته تركيبة مواد التنظيف ، التى خلطتها (منى) ..

كانا أشبه باثنين من العميان ، يشقان طريقهما وسط جيش من الأعداء ، معتمدين على ما سجلته ذاكرتهما من اتجاهات فحسب ..

والعجيب أنهما قد نجحا فى بلوغ السلم ، وراحا يهبطان فى درجاته بسرعة ، وقائد فريق الشرطة الإيطالية يهتف فى غيظ :

- اراهن على أنهما يفران من هنا .. يا للسخافة ! يا للسخافة !

بلغ هتافه آذانهما ، وهما يتجهان نحو المخرج الخلفى مباشرة ، و(أشرف) يسعل ، قائلاً :

- أتعشم ألا يكون هناك فريق احتياطى من رجال (الموساد) ، فى ذلك الشارع الضيق .

غمغمت (منى) :

- أو من رجال الشرطة .

بلغا الباب الخلفى ، وقد تقطعت أنفاسهما ، وكادت رئتاهما تنفجران ، من الافتقار إلى الهواء ، وما إن عبراه حتى شهقت (منى) ، وهى تلتقط نفسًا عميقًا من الهواء النقى ، هاتفة :

- يا إلهى ! لقد نجحنا .

أجابها (أشرف) ، وهو يتطلع إلى رجل (الموساد) ، الملقى عند بداية الشارع الخلفى :

- ليس بعد .. سيارتى اقتحمت بها المدخل الأمامى للمتجر ، ولابد أن رجال الشرطة يحاصرونها الآن .

ابتسمت ، قائلة :

- لن نحتاج إليها ، فلقد أهدانا (الموساد) سيارة أخرى .

ابتسم بدوره ، وهو يعدو معها نحو سيارة رجال (الموساد) ، التى تقف عند مدخل الشارع الخلفى ، مغمغمًا :

- أنت على حق .

قفزا داخل سيارة رجال (الموساد) ، وقال (أشرف) ، وهو يدير محركها :

- من حسن الحظ أنهم قد تركوا مفاتيحها داخلها .

ضحكت ، قائلة :

- ألم أقل لك : إنها هدية منهم !

انطلق بالسيارة ، وهو يقول فى سخرية :

- من يتصورْ أن يأتوا بالسيارة لقتلك ، فتصبح هى وسيلتك للنجاة ؟!

قالت ، محاولة الاسترخاء فى مقعدها :

- وتقدّرون فتضحك الأقدار .

ثم التفتت إليه تسأله :

- ولكنك لم تخبرنى بعد ، لماذا عدت ؟!

تنحنح ، قائلاً :

- لقد أخبرتك أن ..

قاطعته ، قبل أن يكمل عبارته :

- لقد أخبرتنى لماذا لم تذهب إلى المنزل الآمن ، ولم تخبرنى لماذا عدت إلى بيت الأزياء .

صمت لحظة ، ثم تنهّد ، قائلاً :

- الواقع أنهم أرسلوا لى معلومات جديدة ، عبر

فاكس السيارة ، ورأيت أنه من الضرورى أن أطلعك عليها فورًا ، وعندما وصلت ، أدركت من صوت الرصاصات أنك تشتبكين مع بعضهم فى الداخل ، فلم أتردّد فى اقتحام المكان ؛ لأساندك فى معركتك .

انعقد حاجباها ، وهى تسأله فى قلق :

- أية معلومات تلك ، التى يرسلونها عبر فاكس السيارة ؟!

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يلتقط ورقة من جيبه ، ويناولها إياها فى تردّدُ ، قائلاً بصوت خافت :

- معلومات خطيرة جدًا .

اختطفت الورقة من يده اختطافًا ، والتهمت بسرعة كلماتها ، المكتوبة بالعربية ، قبل أن تتسع عيناها عن آخرهما ، وتصرخ فى ارتياع :

- لا .. لا .. مستحيل أن يكون هذا حقيقة .

فالمعلومات التى تحويها الورقة ، كانت تؤكد ما رفض أن يصدّقه الجميع منذ البداية ..

كانت تؤكد مصرع أخطر رجل مخابرات فى العالم ..

مصرع (أدهم) .

(أدهم صبرى) .

* * *

انتهى الجزء الأوّل بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(المحترفون)

الأوراق المكشوفة

- ما سر تلك الأوراق الخطيرة، التى فقدها الإسرائيليون فى (روما) ؟!..
- كيف تواجه (منى توفيق) وحدها عمالقة (الموساد) فى قلب العاصمة الإيطالية ؟!
- ترى من سيربح المعركة فى النهاية، ومن سيفوز بالأوراق.. (الأوراق المكشوفة) ؟!..
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل).



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

143



العدد القادم (المحترفون)

الثمن فى مصر ۲۰۰
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع

المؤسسة العربية الحديثة